الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد الاجتماعية والنفسية في رواية أن تبقى لخولة حمدي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي

تخصص: نقد عربي حديث ومعاصر

إعـــداد الطـلـبة:

سوسن غانية

شيماء زنينة

خديجة نعرورة

إشراف الدكتور:

السعيد قرفي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
على كرباع	دكتور	جامعة حمّه لخضر –الوادي	رئيساً
السعيد قرفي	دكتور	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مشرفاً ومقرراً
نوال بومعزة	دكتورة	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مناقشاً

الموسم الدراسي: 1442/1443هـ–2021م/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــداء

أهدي هذا البحث إلى من قال الحق تعالى فيهما:

{وَقُلْ رَبِي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرًا}

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.. إلى من علمني العطاء و بدون انتظار.. إلى كل من كلله الله بالهيبة والوقار.. **والدي العزيز.**

إلى العظيمة ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب والحنان إلى بسمة الحياة، حفظها الله ورعاها برعايته.. **والدتي.**

وأقول لهما أنتما وهبتماني حياة الأمل والنشأة على شغف والاطلاع والمعرفة.

وإلى المحبة التي لا تنضب وإلى من شاركتهم كل حياتي إلى من اعتبرهم مجوهراتي الثمينة وكنزي الغالي حماكم الله.. **أخواتي.**

إلى من أرى التفاؤل بعينهم.. والسعادة في ضحكتهم إلى شعلة النور والأمل.. **إخوتي.**

إلى من قسمتا معي هذا العمل.. **شيماء وخديجة.**

إلى أهل الفضل عَلَيَ الذين غمروني بالحب والتقدير والنصيحة والتوجيه والإرشاد..**أساتذتي.**

ثم إلى كل من علمني حرفا أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي

إلى كل هؤلاء اهديهم هذا العمل المتواضع سائلة من الله تعالى أن ينفعني به ويمدني بتوفيقه.

غانية سوسن.

الإهـــــــــــــداء

بداية أهدي تخرجي إلى من لا نور إلا نوره، ولا عظمة إلا عظمته، إليك ربي ألف حمد وشكر.

وإلى رمز الهبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، الذي علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة.. **والدي**

إلى من كانت سند لي وكان لدعائها المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث..**والدتي** حفظها الله

إلى من ساندوني.. **أخواتي وإخواني** وفقهم الله وراعاهم.

إلى رفيقات في المشوار اللاتي قاسمنني اللحظات.. **شيماء وسوسن**.

إلى كل من كان لهم أثر على حياتي.

أهدي هذا العمل المتواضع لهم راجية من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

نعرورة خديجة

الإهـــــــــــــــداء

إلهي لا يطيب الشكر إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك.. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك..الله جل جلاّله..

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ونصح الأمة إلا نبي الرحمة.. و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني الوفاء والعطاء بدون انتظار، أحمل اسمه بكل افتخار.. **أبي** حفظه الله ورعاه.

إلى ملاك الحياة إلى معنى الحب والحنان، إلى من تحت قدميها الجنة وبسمة الوجود في الحياة.. **أمي الغالية.**

إلى بسمة الأمل وقدوتي في الحياة.. **أخواتي و إخواني.**

إلى رفيقات مشواري اللاتي قاسمنني اللحظات، وفقهم الله ورعاهم.. **سوسن وخديجة.**

إلى كل هؤلاء أهديهم هذا العمل المتواضع، وأرجو من الله التوفيق.

شيماء زنينة.

شكـــــــــــر وعـرفـــــــــان

الحمد لله رب العالمين الذي أحصى كل شيء عددا وجعل لكل شيء أمدا يحب من دعاه خفيا ويجيب من ناداه نجيا ويكرم من كان له وفيا نشكره تعالى لأنه أعننا على إنهاء هذا العمل فكان نعم المعين والوكيل أما بعد:

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "سعيد قرفي" الذي منحنا الكثير من وقته وكان لرحابة صدره وسمو خلقه وأسلوبه المميز وصبره طوال هذه الفترة علينا أثر كبير في مساعدتي على إتمام هذا العمل, ونحن ممتنات له على كل نصائحه وإرشاداته الصائبة التي أفادت دربنا وسبيلنا وأسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعه في موازين حسناته، كما نشكر كل من أعاننا من قريب أو بعيد وكل أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد حمه لخضر بالوادي.

مقدمة

تُعْرَفُ الرّواية بأنها جنس أدبي نثري وهي فن من الفنون النثرية، وهذا الفن لم يمض على ظهوره أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربي، ولا أكثر من قرن ونصف قرن في العالم العربي.

واحتل فن الرّواية موقعا متميزا في الأدب العربي المعاصر خلال مدة زمنية قصيرة، حيث باتت تنافس فن الشعر، كما أنها أصبحت بالنسبة للإنسان جنسا مقروءا، وعلى الحياة الحديثة فناً مفروضاً نابعا من ذاتية الرواية وطبيعتها المنسجمة مع واقع الإنسانية وهمومها.

كما تَشْهَدُ الرواية في عصرنا الحالي انتشارا واسعًا وخصوصًا في عالمنا العربي، فهي استحوذت على اهتمام الأدباء، واستطاع الكثير من الروائيين من خلالها طرح قضايا المجتمع ومعالجتها.

إن المتقصي لمسار الرواية العربية يلحظ إقبال معظم الروائيين على القضايا النفسية والاجتماعية، وتناولها مختلف أبعادها، ذلك أن الأدب هو صورة المجتمع يعبر عن وهمومه الاجتماعية، كما أنه صورة لنفسية الأديب تكشف عن حالاته النفسية.

ومن منطلق هذه الأبعاد التي تجلّيها الرواية في تحليل تفاعلات المجتمع مع الأحداث التي يعيشها، وكذا الحالات النفسية التي تترتب كآثار على تلك التفاعلات .

ولذلك اخترنا عنوان موضوع دراستنا "**الأبعاد الاجتماعية والنفسية في رواية أن تبقى**" وخلال البحث في هذا الموضوع نطرح الإشكالية الآتية:

ما هي أهم القضايا التي عالجتها رواية "أن تبقى"؟ وما الآثار الاجتماعية والنفسية التي ترتبت على تفاعلات الشخصيات مع تلك القضايا؟

وتكمن أهمية هذا البحث في:

بيان القضايا التي عالجتها الرّواية والى أي مدى عكست واقع الإنسان كالهجرة غير الشرعية ورأيها فيها.

التعريف بالرواية و إبراز مكانتها في الساحة الأدبية.

إبراز معاناة الإنسان العربي في العالم الغربي.

أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع "**الأبعاد الاجتماعية والنفسية في رواية أن تبقى**" هي:

ـ هيمنة الأحوال النفسية والاجتماعية على الفكر العربي وهذا بسبب الأوضاع المعيشية و البطالة والفقر وغيرها، التي أدت بالشباب إلى الضياع والهجرة إلى البلاد الأوروبية وهذه الأوضاع تسببت بحالات نفسية لهم، وهذا ما نجده في رواية خولة حمدي من حالات حزن وألم وفراق وحرمان.

ـ نالت الرّواية إعجاباً من القراء مما دفعنا لدراستها.

ـ إعجابنا بجرأة الروائية في تصورها واقع الهجرة غير الشرعية المفزع، والكشف على أن الحلم ليس كالواقع.

ـ معالجة الروائية موضوع غاية في الأهمية في الساحة العربية وهو (الهجرة الغيرة الشرعية، والهوية).

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة:

فقد ارتبط بطبيعة الدراسة التي تبحث في الأبعاد الاجتماعية والنفسية التي ارتبطت بالقضايا التي عالجتها الرواية، ولذلك فقد طبقنا المنهج الاجتماعي في الفصل الأول والمنهج النفسي في الفصل الثاني.

خطة البحث:

احتوى البحث على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

المدخل: الرواية التونسية، وفيه: مفهوم الرّواية ونشأتها ونشأة الرّواية التونسية وتعريف عام لرواية أن تبقى وفي الأخير ملخص الرّواية والقضايا التي عالجتها.

الفصل الأول: الأبعاد الاجتماعية في رواية أن تبقى، تناولنا فيه قضايا ترتبط بأبعاد اجتماعية تولدها:

اللغة، العادات والتقاليد، الدين، تأزم الهوية، البطالة، المخدرات.

الفصل الثاني: الأبعاد النفسية في الرواية أن تبقى وتناولنا فيه :

السعادة، الصدمة، التوتر، الحرمان، التمرد، الحزن، العنف، الندم، الرعب.

الخاتمة: تحتوي على حوصلة ونتائج هذا البحث.

أهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، ومن أهم المصادر رواية أن تبقى لخولة حمدي، وأما المراجع نذكر منها: كتاب "اتجاهات الرواية العربية لسعيد الورقي"، وكتاب "نظرية الرواية والرواية العربية لفيصل دراج"، وكتاب "في نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض".

صعوبات البحث:

لا يكاد يخلو بحث في الغالب من صعوبات تعترض الباحث العلمي، ومن خلال مسيرتنا قي هذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل أهمها:

تشعب القضايا داخل هذا المتن الروائي.

حجم الرواية وتشعب أحداثها.

ضيق المدة الزمنية الكفيلة بإتمام البحث.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل أن وفقنا في هذا العمل كما تتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف السعيد قرفي الذي صبر علينا ومعنا ولم يبخل علينا بشيء حيث تابع حيثيات وتفاصيل هذا البحث الشكلية والمنهجية.. وبالله التوفيق والسداد.

مدخل: الرّواية التونسية

1ـ مفهوم الرواية:

تعد "الرواية كلمة مرادفة لكلمة قصة في اللغة الرومانية، فكانت تعتبر رواية كل قصة خيالية أو حقيقية، شعرية أو نثرية ولكن في القرن السابع عشر الميلادي اتخذت كلمة الرواية معنى أدبيا خاصا، وهو القصة النثرية التي تعالج حادثة خيالية وتصور أخلاق المجتمع والعدالة وتحلل أحاسيس الإنسان ونزواته، ونعتبر فيها عرضا، وحادثة رئيسية وحوادث ثانوية وعقدة وحلا، كما هو الشأن في كل عمل قصصي".[1]

وعرف فتحي إبراهيم الرواية على أنها "سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمَشَاهِدْ، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صحبها من تحرر الفرد من التبعيات الشخصية".[2]

و"تبنى الرواية على الانقسام المحايث للإنسان مؤكدة ثنائية الذاتي، والعالم عنصر مسيطر في البنية الروائية مع الفرد المكتف بذاته ولا مع الموضوع يقف خارج الذات ولا تحتاجه، إنما تكتب أولا عن موضوع الذي يواجهه الفرد وسيتولد منه ذاتًا جديدة وعن الذات التي تحول العالم الخارجي إلى الموضوع، وهي تجابهه وتروضه وتعمل على تحويله".[3]

ومن هذا المنطلق أصبحت "الرواية هي تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي تشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي، وذلك من خلال الشخصيات المتفاعلة مع أحداث الوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث على نحو يجسد في النهاية صراعا دراميا ذا حياة داخلية متفاعلة، وتلك هي الخاصية الفنية في العمل الروائي".[4]

---

[1]ـ أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه ـ أنواعه ـ مذاهبه ـ المؤسسة الحديث الكتابة، د ط، طرابلس ـ لبنان، د ت، ص160.

[2]ـ فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، دار مؤسسة العربية، ط1، تونس، ت1988، ص176.

[3]ـ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، دار البيضاء، ط2، بيروت، ت2002، ص18.

[4]ـ السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، د ط، ت1430ـ2009، ص5.

ويمكن القول أن الرواية تعتبر الأكثر شمولاً بين فنون الأدب العربي، فهي تعبر عن فرد أو جماعة أو ظاهرة ما، كما ترتبط بالمجتمع وتقوم على أساسه، وتظل الرواية على علاقة بالحدث الرئيسي الذي تقوم عليه، رغم تفرع منها أحداث أخرى، إلا أنها تجمعها فكرة مشتركة.

نتطرق إلى المفهوم الحديث النسبي للرواية ونقول بأنه" لم تعرفه الآداب الغربية قبل أواخر القرن الثامن عشر وما تلاه، وذلك من أعمال الأمثال جين أووستن(1775_1817) وسيرو الترسكوت(1771_1832) وتشارلز ديكنزو، وليم ماكييس ثاركرلى، وشارلوت واميلى، وبرونتي، وجورج اليوت، وجورج ميريديث في انجلترا، واميل زولا، وجو ستاف، فلوبيرو أنورية دى بلزاك في فرنسا، وأنطوان تشيكوف، وليو تولشري، وبوشكين، ودستو يفسكي في روسيا، ولقد استطاعت أعمال هؤلاء الروائيين وأمثالهم أن تعطي تنوعا باتجاهاتها المتعددة، كما استطاعت أن تركز بتأكيد أكثر على الواقع الاجتماعي والواقع الفردي".[1]

كما "تضافرت عوامل كثيرة بعضها تاريخي وبعضها حضاري وبعضها ثقافي تدفع بمعالجة الرواية إلى مأزق تفجرت منه الرواية الجديدة واتخذت لنفسها طرقا عريضة تسير فيها، وأنشأت لها عالما رحيبًا تضطرب في مناكبه، وذلك تحت ألف لباس، وبوجه فني يتشكل في ألف صورة وبلغة جديدة تتأسلب بألف أسلوب، فتحت هذه المعطيات المتوالجة والمتلازمة نشأت الرواية الجديدة تعبيرا عن هذا التعقيد المعقد من مركبات العصر".[2]

ومن المفهوم السالف الذكر، أصبح "يطلق مصطلح الرواية العربية الجديدة على الناتج القصصي الذي تجاوز تقنيات الروايات الكلاسيكية التي يمكن إيجازها في ترابط الأحداث

[1]ـ المرجع السابق، ص5.

[2]ـ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار عالم المعرفة، د ط، الكويت، ت1923-1990، ص51.

وتسلسلها، والصراع، والعقدة، والحل، وحسن رسم الشخصية (صفاتها الظاهرة، وأبعادها النفسية) وديكور المكان، ومنطقية الزمن".[1]

ومن خلال التعريفات السابقة نرى بأن الرواية هي جنس أدبي وهي شكل من أشكال القصة وأكبر أنواعها من حيث الطول، كما أنها تعد تعبيرا اجتماعيا بكونها أصبحت وسيلة دفاع عن الشعوب المستعمرة وإبداء الرأي.

2 ــ نشأة الرواية:

أ ـ الرواية على النحو العام:

"ولدت الرواية في مجتمع بلا جماعة، وارتبطت ببنية مجتمعية تُغاير البنية الجماعية للجماعة، الطائفة، العشيرة، الأسرة، مؤكدة المفهوم النظري المتداول الذي لا يفصل بين الرواية والمجتمع المدني، فكانت في هذا تتكئُ على الفرد أو الإنسان أو المواطن، وعلى هذه المفاهيم جميعاً دون أن تستدعي العائلة والدين والجماعة، وهذا ما عبر عنه هيجل: حيث رأى في الفرد الحديث أي في بطل الرواية، نتاجًا لمجتمع البرجوازية لا للعائلة البرجوازية".[2]

ومرت الرواية العربية الحديثة "منذ نشأتها قبل هذا القرن بمراحل متعددة وقد مثلت هذه المراحل النشأة والتطور لهذا الفن الجديد من وصول إلى الواقعية أولى الاتجاهات الروائية المعاصرة في الأدب العربي، وأما عن نشأة الرواية في الأدب العربي فهي نشأة حديثة ترجع إلى مطلع هذا القرن أو قبله إذا ما اجتهد الباحث في تأصيل النشأة ولقد كانت مصر (رائدة في هذا الميدان)، حيث استطاعت أن تنتبه إلى هذا الفن الجديد ثم نبهت إلى ضرورة خلق مثله في مصر وفي العالم العربي".[3]

ويمكن أن نربط البدايات الأولى لهذا الفن الجديد ببداية "الصراع بين التأثر بالأدب العربي القديم وبين التأثر بالأدب الأوروبي الحديث، ذلك الصراع الذي أخذ شكل الظاهرة

---

[1]ـ شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دار نشر مؤسسة الوراق، ط1، عمان، ت2014، ص9.

[2]ـ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص17.

[3]ـ السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ص15.

الواضحة عن الحياة الأدبية في العالم العربي مع مطلع هذا القرن، وقد كان هذا الصراع هادئاً وطبيعياً وكان يأخذ شكل معركة محتدمة وصراع قاسٍ بين الأدبين، وفي خَصْمٍ الصراع بين هذين التيارين، طفت إلى الساحة الأدبية، نماذج قصصية يتفاوت حظها من الاقتراب إلى شكل المقامة أحيانا، باعتبار المقامة أقرب الأشكال القصصية إلى مفهوم القصة الفنية، ومن محاولة التخلص من هذا الشكل أحيانا أخرى".[1]

ب ـ الرواية التونسية على النحو الخاص:

يذهب الدكتور بن جمعه بوشوشة إلى أن للرواية التونسية بدايتين:

الأولى تحدد زمنيا مع أواخر الثلاثينات ومطلع الأربعينات من القرن العشرين، وتمثل هذه البداية أعمال محمود المسعدي، والحقيقة أن أحاديث أبي هريرة المسعدي قد ظهرت فعلا في هذه الفترة ولكنها لم تنتشر كاملة في شكل الرواية إلا في عام 1973، وكذالك كتاب (مواليد النسيان) نشر بدوره في فصول، من أفريل إلى جويلية 1945 لكنه لم ينشر في كتاب إلا عام 1974.

أما البداية الثانية للرواية التونسية في رأي الباحث جمعة بوشوشة فهيَّ نهاية الستينيات وتجسدها رواية (الدقلة في عراجينها) للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة والمعاصرة.[2]

3 ـ رواية "أن تبقى":

أ ـ تعريف عام بالرّواية:

رواية أن تبقى هي رواية تونسية للروائية خولة حمدي صدرت سنة 2016 تتميز بسهولة اللغة وبأسلوبها العريق، فهي لا تميل إلى التعقيد ويسهل فهمها، لأن التعقيد يقتصر على القضايا نفسها، حيث تدور أحداث هذه القضايا عن الهجرة غير الشرعية التي يسعى

[1] ـ ينظر: المرجع السابق، ص15-16.

[2] ـ ينظر: صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، د ط، بسكرة، د ت، ص13.

إليها كل الشباب، كما تتحدث عن التشريد في البلاد الأجنبية، وتتحدث أيضا عن العنصرية وعن معاناة المسلمين في الغرب واختلاف الأديان.

ب- التعريف بالروائية: (د. خولة حمدي):

خولة حمدي كاتبة تونسية من مواليد 1984 بتونس العاصمة، روائية وباحثة وأستاذة جامعية ومهندسة حققت نجاحات مبهرة في عالم الكتابة الأدبية وهي في بدايات الثلاثينات من عمرها، وأثبتت نفسها كروائية استثنائية في فترة بسيطة، لتؤكد أنها لم تكن مجرد ظاهرة، بل كانت كاتبة مجتهدة بروايتها التي حققت شهرة واسعة على مستوى الوطن العربي، كما تصدرت كتبها النسبة الأعلى في المبيعات واستطاعت أيضا أن تحجز مقاعد على رفوف المكتبات بجانب روايات لكتاب كبار.

أحيت خولة حمدي الرواية الشبابية التي تمس أوجاع جيلها وتناقش قضاياهم برصانة أدبية، وتطورت بشكل ملحوظ من أول عمل إلى آخر عمل، حيث قدمتها بمعالجات روائية لا تخلو من العلاقات الإنسانية الدافئة.

وبدأت الروائية خولة حمدي مشوارها الأدبي بأول عمل ينشر ورقيًا بعد محاولات عديدة مع قصص قصيرة لم يتم نشرها، وذلك باسم جاذب اختارته بعناية لتخرج لنا برواية (في قلبي أنثى عبرية) صدرت عام 2012.

كما تتميز خولة بكونها تكتب أدباً لا للأدب نفسه، بل للرسالة والقضية المحمولة في جوف الأدب، وتحتفي بالدين وتحمل هم تقديمه وعرضه بصورة نقية خالية من شوائب علقت به على مر السنين، فجاءت أول أعمالها حادة في طرحها مثالية في تكوين شخصيتها وهو ما لم يستسيغه البعض، لتأتي الأعمال اللاحقة بصورة أقل نمطية وبحيادية وبنضوج فكري يعي الاختلاف ويحتفي به بقوّة لغويا وأدبيا وموضوعيا[1].

[1] ـ http://ireadhub.com/%D8%AE%D9%88%D9%84%D8%A8%AD%D9%85%D8%AF%D9%8A

ج–أعمالها الروائية:

إن لخولة حمدي أعمالا كثيرة اشتهرت، وعرفت بقوة لغتها وأدبها وموضوعيتها، ونخص بالذكر الأعمال التي لاقت شهرة كبيرة وحققت انتشارًا واسعًا:

في قلبي أنثى عبرية 2012

غربة الياسمين2014

أن تبقى 2016

أين المفر2017

أحلام شباب (نسخة غير رسمية)

أرني أنظر إليك2020

ياسمين العودة

د ـ ملخص الرّواية:

تدور أحداث رواية أن تبقى حول شخصية خليل الشاوي المحامي المترشح للانتخابات البرلمانية الفرنسية، والمنحدر من أصول عربية ولكنه لا يعلم شيئاً عن أصله ويعتبر نفسه فرنسيا وهذا بسبب إخفاء أمه عنه أصوله العربية وهويته الحقيقية مخافة أن يتلقى ابنها الرفض من المجتمع الفرنسي.

وفي إحدى الليالي تصل إلى خليل الشاوي رسائل من أبيه نادر الشاوي التي كتبها له وهو في سن الثلاثين وتحمل هذه الرسائل قصة أبيه الذي عبر البحار بطريقة غير شرعية هروبا من البطالة ومعاناته من الجيش والإسلاميين، ووصولا إلى تحطم تلك الأحلام عند وصوله إلى فرنسا، ليعاني من ألم الغربة وعدم إيجاد ملجأ له وفقدانه للهوية وعدم إيجاده للعمل فلم يكن أحد يوظفه بسبب ثيابه المتسخة وشخصيته التي تبدو ليست محترمة بالنسبة لهم، فهو عانى من العنصرية حتى في البحث عن عمل، فنادر ذو الشهادة الجامعية لم يحمل أي ورقة تثبت هويته، وتعرضه للإهانة والتشرد دفعه للسرقة والانضمام إلى أحد الجماعات المتطرفة، ومن الملاحظ في الرواية أن المسلمين المهاجرين إلى فرنسا انقسموا

إلى فئتين: فئة الشيخ البشير، وفئة الشيخ مختار، الفئة الأولى فئة معتدلة تدعوا إلى التسامح ونبذ العنف والعيش بسلام مع الآخر والفئة الثانية تدعوا إلى إعلان الحرب في فرنسا والجهاد و محاربة غير المسلمين والخارجيين عن عقيدتهم وملتهم.

كما أخبره في هذه الرسائل أنه التقى بشخصيات كثيرة منهم "ليليان" التي ساعدته، وأخبره أيضا عن حُبه "لديانا" ثم تزوج منها وأخبره أيضا عن التقائه بالدكتور عمر الذي ساعده على إيجاد مأوى، وعودته إلى الله عز وجل، وهو سبب دخوله للمسجد فمنذ وصوله إلى فرنسا لم يسجد ولا سجدة لله تعالى، وذكر له جابر البناء الذي أخذ بيده إلى التهلكة فهو سبب إدمانه واستهلاكه للمخدرات.

وبعد قراءة خليل للرسائل وقع في حيرة وارتباك ودوامة من القلق خاصة أنه مرشح للبرلمان الفرنسي لكنه في الأخير استطاع أن يوازن بين هويته الرئيسية وأصوله العربية التي تعني في المقابل الهوية العربية.

هـ ـ القضايا التي عالجتها الرّواية:

عالجت الرواية عدة قضايا تهم جميع الدول العربية من أهمها (الهجرة غير الشرعية)، كما تطرقت أيضا (للاغتراب، والحرب على الإرهاب، وازدواجية الهوية، والشعور بالانتماء الناقص، وقضية الاضطهاد، والتمييز العنصري...)

ـ الهجرة غير الشرعية:

هي ظاهرة عرفتها الحدود الدولية، ويقصد بها اجتياز الحدود دون موافقة سلطات الدولة الأصل وكذا الدول المستقبلة، فالأجنبي لا يملك حق الدخول إلى أي بلد إلا وفقا لقوانين بلده وقوانين البلد المستقبل وذلك بقيامه بجميع الإجراءات القانونية اللازمة للهجرة، لتكون عملية انتقاله شرعية وفي غياب ذلك يصبح انتقاله غير شرعي.[1]

تجلت الهجرة غير الشرعية في الرواية بقراءة المحامي خليل الشاوي لرسائل والده التي يروي فيها كيفية هجرته، من شاطئ عنابة وصولا إلى فرنسا عبر مراكب الموت كما أشارت

[1] ـ http/www.djelfa.info/vb/showthread.php ?t : 573478

الراوية في روايتها لصعوبة الوصول إلى الضفة الأخرى، فبطلنا عانى بعد وصوله وكاد أن يفقد حياته في البحر.

ـ الاغتراب:

هناك عدة مفاهيم ودلالات مختلفة للاغتراب نجد منها "أن الاغتراب مُجملُهُ مرتبط بالانتقال المكاني والبعد عن الوطن، وكذا مرتبط بعدم التوافق أو الانسجام مع اللحظة الآنية أو قيم المجتمع ففي قاموس الأكاديمية الملكية يذكر أن الغربة هي البعد عن الوطن وأن الغريب هو المبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام وكذالك من معانيها النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها الإنسان".[1]

لم يكن نادر الشاوي منفيا من وطنه بل فاراً من أجل لقمة العيش، ومن الأوضاع التي كان يعيشها من ظلم وفقر وبطالة وتغرب على وطنه بسبب الحلم الأوروبي غير الوردي.

كما ذكر الاغتراب أيضا في الرواية من منظور نفسي الذي يعرف "بأنه انعدام المغزى الذي يشكل نمطا من تجربة الإنسان فيه كشيء غريب ويصبح غريبا حتى عن نفسه".[2]

ومن خلال الرواية تمثل الاغتراب النفسي في عزلة نادر الشاوي وصراعه مع نفسه وافتقاده لشعور الفخر والرضا.

ـ الحرب على الإرهاب:

عُرف "الإرهاب دوليا أول مرة من طرف عصبة الأمم بأنه عمل إجرامي يهدف بطبيعته إلى إثارة الرعب والخوف موجه إلى أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو للعموم".[3]

عندما أراد نادر الشاوي أن يبدأ حياة نظيفة بعد المصاعب التي واجهها التقى بالشيخ المختار الذي كان يستقبل المتشردين العرب ويوفر لهم معيشة وحياة كريمة، كما كان

---

[1]ـ أشرف علي دعدور، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ص19-20

[2]ـ إبراهيم زكريا، معنى الاغتراب عند الإنسان العربي المعاصر، المجلة العربية، العدد194، الكويت، ص120

[3]ـ الشيخ عبد الله بن بية، الإرهاب التشخيص والحلول، الفقه الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ص8.

يتلاعب بعقولهم، فاكتشفه نادر مؤخرا بأنه زعيم جماعة تسمى "حراس العقيدة" وهم جماعة مختبئون تحت قناع الدين تجمع المتشردين العرب و تدعوا لإعلان وقيام الحرب.

ـ التأزم في الهوية:

يعرف أحمد منور الهوية بأنها "تلك المعلومات المسجلة في بطاقة التعريف أو بطاقة الهوية، التي تشمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانه والنسب العائلي أي (اسم الأب والأم) وعنوان الإقامة بالإضافة إلى العلامات الجسمية والمميزة، كالطول ولون العينين والشعر، وقد يضاف إلى هذا كله ديانة الشخص أو الطائفة التي ينتمي إليها ولون بشرته كما هو الحال في بعض البلدان".[1]

تجلت الهوية في الرواية عند مغادرة نادر لبلاده وعدم حمله لجواز سفره ولا أوراقه، لأنه لم يكن يحتاجها في رحلته، فهجرته كانت غير شرعية، فهم يسمونهم بالحراقة، لأنهم يحرقون أوراق ثبوتيتهم وبما أن الهوية تُعَرّفْ الشخص بنفسه وبالمكان الذي ينتمي إليه تخلص منها خوفا من القبض عليه وإعادته من نقطة البداية.

ـ الشعور بالانتماء:

الانتماء بصورة عامة هو "الانتساب الحقيقي للدين والوطن والفكر وتجسده الجوارح عملا ورغبة بتقمص عضوية ما لمحبة الفرد بذلك ولاعتزازه بالانضمام إلى هذا الشيء ويكون الانتماء للدين بالالتزام بتعليماته والثبات على منهجه، أما بالنسبة للوطن الذي يعني الشعب والأرض فيجسد بالتضحية من أجلها تضحية من شعوره بحب ذلك الوطن وشعبه".[2]

وتمثل في الرواية عندما مرّ خليل الشاوي الشاب المولود في فرنسا ذو أصول عربية بأزمة نفسية اتجاه نفسه و أصله ونسبه الحقيقي ويسأل نفسه هل هو عربي أم فرنسي، وذلك بعدما وصلته رسائل من أبيه.

---

[1]ـ أحمد منور، أزمة الهوية في رواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية، دار الساحر، د ط، د ت، ص17.

[2]ـ نبيل يعقوب، قيم الانتماء والولاء المتضمنة في منهاج التربية الوطنية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص19.

ـ التمييز العنصري:

"اختلف الباحثون في تعريف التمييز العنصري أو العنصرية، وذلك بناء على اختلاف وجهات نظرهم لاختلاف تخصصاتهم في علوم الحياة المختلفة، وكلها تدور حول المعاني المتداولة لهذا المصطلح مثل: العنصرية، التفرقة العنصرية، الفصل العنصري، التمييز العنصري، ويترتب على هذا التمايز اضطهاد أو ازدراء، ويمكن أن نسميه ضررا يلحق بالآخر".[1]

ويمكننا القول بشكل مبسط أنه تفريق بين شخصٍ وآخر من خلال الجنس والعرق واللون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُم وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُم وَاحِدٌ، أَلاَ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيّ عَلَى أَعْجَمِيّ وَلاَ لِعَجَمِيّ عَلَى عَرَبِيّ وَلاَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَقْوَى)).[2]

وتمثلت العنصرية في الرواية تجاه السود والعرب ولكن تلاشت مع زيادة عددهم فوجودهم لم يعد يلفت الانتباه، ولكن العنصرية ما زالت قائمة أمام فرص العمل كما أوضحت الرواية أن المهاجرين من بلغاريا ورومانيا والصين وقعوا أيضا في مصيدة العنصرية.

[1]ـ نشوان حميد أحمد الفائق، مقاصد الشريعة وأثرها في القضاء على التمييز العنصري، رسالة دكتوراه كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان، ت2014، ص18.

[2]ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ر ح: 23489، ج38، ص474.

الفصل الأول:

الأبعاد الاجتماعية

في الرّواية

ـ مفهوم المنهج الاجتماعي:

تسعف القراءة الاجتماعية التي تستند إلى المبادئ التي أقرها المنهج الاجتماعي، في الكشف عن الأبعاد الاجتماعية، التي ارتبطت بالقضايا التي عالجتها الرواية، ولذلك لابد من الوقوف على هذا المنهج والمبادئ التي يقدمها في رؤيته لتحليل النصوص الأدبية.

"ولد المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب في أحضان المنهج التاريخي، عند أولئك الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات، ولذلك قال بعضهم: إن هذا المنهج هو جزء من المنهج التاريخي، والذين فرقوا بين المنهجين قالوا: إن الدرس الأدبي إذا تناول النصوص القديمة كان تاريخيا، وإذا توجه إلى درس النصوص الحديثة كان نقدا اجتماعيا".[1]

يقف "المنهج الاجتماعي منهجًا قائمًا بذاته، لارتباطه الوثيق بالحياة الاجتماعية للأدب بمختلف أجناسه من صلة بديهية بالمجتمع، فالأدب يعكس المجتمع، ولكل كاتب نظرته إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ولذلك عدّ الكاتب مرآة المجتمع، يعكس الأحداث الاجتماعية وتفاعلاتها، ومن جهة أخرى فالمنهج الاجتماعي يعقد على التأثير والتأثر، فالأديب يتأثر بالعوامل الاجتماعية المعقدة، ومن ثم يؤثر بإبداعه في محاولته لتغيير الأوضاع الاجتماعية".[2]

"ويرى بعض النقاد المعاصرين أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي على نحو خاص، ومن أوائل المفكرين الغربيين الذين تبنوا هذا الاتجاه سان سيمون 1760م ـ 1825م وجماعته الذين دعوا معه إلى تنظيم المجتمع والقضاء على آثره الفردية و تفاني الفرد في

[1] ـ وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، دار الفكر، ط2، دمشق، ت2009، ص35- 36.

[2] ـ إبراهيم الشافعين، خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية المتحدة لتسويق، ط2، القاهرة، ت2013، ص94.

خدمة مجتمعه والتضحية بكل غال ونفيس، في سبيل إسعاد أبناء مجتمعه، وتحقيقاً لهذه الأهداف النبيلة تدعوا كذلك إلى توجيه الأدب نحو خدمة المجتمع".[1]

يمكن القول باختصار أن المنهج الاجتماعي هو منهج له علاقة بالحياة الإجتماعية بكونه أدباً يعكس حالة المجتمع الذي يعيش فيه الأديب والأوضاع التي تؤثر عليه، محاولا بإبداعه تغييرها.

بعد بسط هذه المفاهيم في علاقة الأدب بالمجتمع، من وجهة نظر المنهج الاجتماعي يمكننا الوقوف على الأبعاد الاجتماعية في تناول الكاتبة للقضايا التي شكلت موضوع روايتها "أن تبقى":

1ـ اللغة:

اللغة: هي عبارة عن أصوات وكلام مصطلحٍ عليه بين كل قوم، يعبرون به عن أغراضهم.

قال مصطفى الغلابين في كتاب جامع الدروس: إن اللغة هي ألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم[2]: "اللغة هي كل نطق أو كتابة أو إشارة يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم، وقال أرسطو: اللغة هي الرمز، وعرفها ابن الجني في قوله أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[3]

فاللغة ما هي إلا علامات و رموز وكلمات نتواصل بها مع الأفراد ، كما يعبّر بها الإنسان عن مطالبه ومقاصده وأغراضه، فبدون اللغة لا يستطيع الإنسان إبداء رأيه، أو يكشف عن هويته وانتمائه.

---

[1]ـ عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجماعة، د ط، مصر، ت2008، ص75.

[2]ـ ينظر: مصطفى الغلابين، جامع الدروس العربية، د ط، د ت، ص9.

[3]ـ أبو الفتح ابن الجني، الخصائص، ج1، عالم الكتب، د ط، ت2006، ص33.

وفي رواية "أن تبقى" لخولة حمدي، أخذت اللغة مجالا واسعا بكونها أداة تواصل بين الأشخاص وبين المجتمعات، ونستشهد بذالك من الرواية في حوار قام بين نادر الشاوي والدكتور عمر:

"... كلمته بلغتنا المشتركة في توسّل:

ـ أنت عربي أليس كذلك؟

ـ التفت إليّ فرأيت الشرر يتطاير من عينيه، وهتف في ازدراء:

ـ أنا عربي، ولا أتشرف بالعرب أمثالك!"[1]

من خلال هذا الحوار في الرواية، تعرفنا على أن نادر الشاوي وعمر لهما نفس اللغة ونفس الثقافة، فهما من مجتمع عربي، ولولا اللغة الموحدة بينهما وهي العربية، لم يكن ليستطيعا التواصل.

وبعد الاستعمار الفرنسي للجزائر، أصبحت اللغة المستعملة تتأرجح بين اللغة العربية واللغة الفرنسية التي يستعملها الشعب الجزائري، فالفرنسية مثلت لمدة طويلة لغة تعامل بها الجزائريون، ولا يزال تأثيرها في تعامل الجزائريين لغويا إلى غاية اليوم.

تستعمل الروائية خولة حمدي بعض الألفاظ الفرنسية في الرواية، فتكتب أسماء الشوارع وبلديات والمدن بألفاظ فرنسية وهذا ما نلاحظه في قولها:

...بناية تجارية على الشارع الرئيسي في ضاحية "سورانSuresnes".[2]

...المترشح لمجلس النواب عن دائرة "نوبي سيرسينNeuilly ـ Sur ـ Seine".[3]

البلدية "كولومب ـ Colombes".[4]

ويتضح من هذا الاستخدام في اللغة، أن الروائية كتبت تلك الألفاظ باللغة الفرنسية ثم ترجمتها بكتابة عربية ونطق أجنبي، كما نجد أن الروائية تتنقل عبر الأسماء والأماكن في

[1]ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ط4، ت2016، ص88.

[2]ـ المصدر نفسه، ص10.

[3]ـ المصدر نفسه، ص14.

[4]ـ المصدر نفسه، ص14.

كل من الألفاظ (باريس ـ بلغاريا ـ عنابة ـ رومانيا)، وهي بلدان لكل منها ثقافة مختلفة ولغة مختلفة.

ونجد دور اللغة طاغٍ في الرواية من خلال النطق وكتابة الأسماء في اختلاف الواقع في نطق كل من اسم (ديانا ـ عمر، وماتيو ـ محمد رستم) وغيره من الأسماء، فكل اسم يدل على هوية مختلفة ولغة مختلفة ومجتمع مختلف.

كما نجد أن أم المحامي خليل تجيد لغتين لغة عربية ولغتها الرسمية الفرنسية وهذا جاء في قوله حين قال أن أمه كانت تتذكر ما رسخ من اللغة العربية في ذهنها وتربطها ببعضها لتترجم له رسائل والده وهذا ما نلحظه في الرواية:

"استمرت تقرأ وتترجم، متوخية ما أمكنها من الدّقة".[1]

"...وتشحذ الذّاكرة لتستحضر معنى اللفظ مرّ عليها منذ زمن طويل وسقط من دفترها، لتقادم عهدها باللغة العربية قراءة وممارسة".[2]

يتضح من خلال ما درسناه أن خولة حمدي تطرقت في روايتها لعدّة لغات في مجتمعات مختلفة لكن اقتصرت في شرحها على اللغة الفرنسية والعربية فقط مع ذكر بعض اللغات الأخرى تمثلت عبر شخصيات متعددة منها: (المتعهد الاسباني والايطالي...)

2ـ العادات والتقاليد:

لا يخفى علينا أن لكل دولة ولكل مجتمع عاداته وتقاليده تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى في شتى المجالات.

حيث "يرافق التقليد سلسلة من العادات يمكن للناس أن يقوموا باستبدالها بسهولة دون إثارة وضجة فمثلا كل ما يدخل في باب العزاء خاضع لإمكانية التغيير طبقا للتغيرات

[1]ـ المصدر السابق، ص43.

[2]ـ المصدر نفسه، ص43.

الحاصلة في المجتمع في اللباس وتناول الطعام وإعلان الخبر ومظاهر الحداد الخ... التغيير في هذه الأمور يتم بطريقة لا شعورية".[1]

يعرف التقليد بأنه الموروث الذي يرثه الفرد عن الآباء والأجداد، أي تقليد أجيال المجتمع لمن سبقهم، من سلوك وعقائد ومظاهر وغيرها، ويتمثل أيضا في الموروث الثقافي الاجتماعي أو التراثي للفرد أو المجتمع لآبائهم وأجدادهم.

والعادات هي الأمور المألوفة التي اعتاد الفرد على القيام بها دون جهد لفترة زمنية معينة. ويمكننا القول بأن العادات والتقاليد مجموعة من الصفات والخصائص التي تميزها عن باقي المجتمعات والثقافات الأخرى التي تشكلها.

ويتم التعبير عن هذه العادات والتقاليد من خلال الأشكال الثقافية والمظاهر الاحتفالية والمعتقدات الشعبية والدينية، التي ركمها المجتمع الإنساني على امتداد تاريخه الثقافي، وهذا ما ينعكس جليّا في (رواية أن تبقى) لخولة حمدي فهي التي تطرح مشكلة وقضية العادات والتقاليد التي عاشتها (ديانا روجيه) زوجة نادر الشاوي عند وصولها للجزائر تروي بأنها عندما وصلت إلى الشارع بدأت تبرز معظم المظاهر و العادات والأعراف في المجتمع الجزائري حيث تقول:

"حيث أصبحنا على مشارف مقر العشيرة الشاوية وهي منطقة تسمى بالأوراس الذي أرشدنا إليه عمدة بلدة الجرف، بدأت أمامنا زينة احتفالية صاخبة وكان الوقت عصرا والسيارات تتوقف خارج سور المزرعة..".[2]

وهذا معروف في المناسبات الجزائرية عند بداية أية مناسبة يتجهز لها بزينة وهذا تعبير عن بداية هذه المناسبة كما تكون فيها يد العون من الأقارب والجيران للمشاركة في هذه الفرحة.

---

[1]ـ الاتجاهات نحو العادات وتقاليد، مجلة كلية التربية، العدد 170الجزء3،أكتوبر 2017 ، الأردن، ص481 ـ 482.

[2]ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ص329.

وتقول ديانا أنها رأت: "صفوفا طويلة من السيارات والشاحنات والجرارات التي حضر على متنها الأقارب والجيران والمعارف من القرى والبلدان القريبة والبعيدة، ولم يتوقف الضيوف عن التوافد بأعداد غفيرة.. وتزغرد النساء فَرِحَات، بينما يصل صدى الطبل الذي يقرع بنغمة شعبية من الفناء الداخلي".[1]

وهنا تصف لنا ديانا العرس الذي صادفته في رحلتها عند الوصول للجزائر وهذا العرس هو مظهر من مظاهر الاحتفال الخاصة في الجزائر ومن المميزات الثقافية والقومية، كما أن هذه المشاهد لم تراها ديانا وتسمع بها من قبل، وذلك لاختلاف المعايير التي تحكم عادات وتقاليد المجتمع الفرنسي، حيث تقول أن المشهد الذي رأته لم يكن ليعبر خيالها ولا حتى في الأحلام، كانوا في مختلف الأعمار ويجلسون حلقات ودوائر لكل دائرة توجد صبية أو شابة تربط وشاحها على خصرها وتتمايل على أنغام الموسيقى الشعبية التي كانوا يرددونها.

وفي الأخير تأكدت ديانا أن هذا الحفل ليس عرساً بل هو ختان للابن الصغير لخليل:

قالت رنيم: اتركي الولد الآن.. فقد حان وقت ختانه، فأجابتها ديانا وهي في حيرة: ختانه؟.[2]

ويعرف الختان بطهور الولد بمعنى عملية جراحية بسيطة تكون لذكر ويقام فيها حفلة، فاندهشت ديانا من ذلك وقالت: "صدمت، عن أي ختان تتحدّث؟ ولم تكد الدماء تعود تدريجيّا إلى وجهي وقد فهمت نوع المناسبة التي لم تكن عرساً على الإطلاق".[3]

لم تستطيع ديانا إدراك ما يحصل واستيعابه ولم تدرك أنه سيؤدي إلى إيذاء ابنها حيث قالت: "..تبينت بشاعة ما يهمّون بفعله بك، ويقطعون جزءا من لحمك وأجلس مكتوفة اليدين؟"[4]، حتى جاءت رنيم وهي المرافقة لديانا التي تفسر لها وتترجم لها ما حصل من

---

[1]ـ المصدر السابق، ص330.

[2]ـ ينظر: المصدر نفسه، ص334.

[3]ـ المصدر نفسه، ص334 ـ 335.

[4]ـ المصدر نفسه، ص335.

حوار وحديث بينهما وتشرح لها أنها عادة من العادات والتقاليد الإسلامية التي يقوم بها المسلمون منذ بداية الدعوة الإسلامية.

ومما جلب أيضا انتباه ديانا هو طريقة اللباس والأزياء التقليدية وهي طريقة اللحاف الذي كان يرتدينه النساء، حيث هذا اللباس يمتاز به المجتمع الجزائري والمغربي و التونسي، وكما يعرف اللحاف بأنه لباس تقليدي ترتديه المرأة العربية الأصيلة قديما، وخاصة المرأة الصحراوية عند الخروج من بيتها، وجاء هذا في الرواية بقول ديانا: ".. واعترضنا مسارات سيّدات ملتحفات وسافرات ينؤن بحمل قفافين عائدات من السوق".[1]

وتقول أيضا: ".. عند منتصف الطريق يقف شيخ سبعيّني في ثيابه الريفية التقليدية، يرمي على كتفيه برنس صوف داكن يعمم رأسه بقماش أبيض ناصع".[2]

ويعرف البرنوس بأنه لباس قديم أو سترة طويلة من الصوف يشمل غطاء للرأس، ويكثر استعمال هذا الزي في الجزائر وتونس، فهو جزء من لباسهم التقليدي ويلبسه الرجال حماية من البرد، ويكون مصنوعًا من الوبر الحيواني، وأصبح رمزاً يدل على الشهامة والقيمة والشموخ.

ونستخلص في الأخير أن الروائية خولة حمدي ترجع إلى ما تحويه الرواية من العادات والتقاليد إلى جملة من الخبرات الاجتماعية التي تُمَيّز مجتمعا عن آخر، فنجد في روايتها ذكرت عدة عادات تقليدية جزائرية وهذا من خلال تصويرها وتوظيفها دلالة البساطة والعيش والفقر والتواضع وطريقة عيشهم وظروفهم الاجتماعية وهذا ما وضحته في الرواية على أن الأقارب والجيران أتوا على متن الشاحنات والجرارات من بلدان قريبة وبعيدة.

كما وضحت أيضا طريقة الحياة الريفية السهلة والبسيطة لرؤيتها قنّ الدجاج ومأوى الأرانب وحظيرة الأغنام والأبقار ومخزن العلف والقمح.

---

[1] ـ المصدر السابق، ص327.

[2] ـ المصدر نفسه، ص327.

ومما لا شك فيه أن الحياة الريفية تخلو من مظاهر الترف والتعقيد، لأنهم اعتمدوا على مبدأ البساطة، حيث تؤثر عليهم أعمالهم الريفية في الحياة لتضفي عليهم من بسطتها، كما أن للفن مجالا في حياة أهل الريف، حيث يحافظون على تراثهم الشعبي من أغاني شعبية وثقافة في الملبس والمأكل وغيرها من الفنون.

إن العادات والتقاليد تمثل جزءاً أساسياً من الحياة الإجتماعية لأهل الريف بغض النظر عن الدين، فالأساس الذي يحكمهم هو عادات أهل القرية.

3ـ الدين:

يعتبر الدين من أقدم الأنظمة التي عرفها الإنسان، فالدين جذوره العميقة منذ وجود الإنسان الأول على هذا الكوكب، فهو دائم البحث عن إله، وله اتجاه فطري إلى التدين.

وقد اشتغل بالدين جانب من الفلاسفة وعلماء الاجتماع، حيث عرفه الفيلسوف الألماني كانط على أنه: (هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة أوامر إلاهية سامية)[1]

كما يعرف الدين أيضا على أنه من "الألفاظ والمصطلحات التي لم تخلوا منها أي لغة من اللغات، لأن التدّين فطرة، وقد تعددت دلالاته بتعدد الأمم وإن وجد القاسم المشترك في النهاية بينهما".[2]

ويكون المذهب الديني عنصرا أساسيا في تكوين الطابع القومي والشعور بالانتماء كما أن أهميته تكمن في مخاطبة عقول الناس وقلوبهم وهو يثير في النفوس بعض العواطف والنزعات خاصة التي تؤثر على أعمالهم، كما يولد نوعا من الوحدة.

قد شهد الدين في مسيرة حياة الناس على مرّ العصور، تغيرات، وظهرت على الأرض عدة ديانات حيث ركزت بعضها على مفاهيم أخلاقية، في حين ركز البعض الآخر على

---

[1]ـ ينظر: سهام محمود العراقي، الاتجاه الديني المعاصر لدى الشباب، مكتبة المعارف الحديثة، حمادة زغلول، مصر 1984، ص32.

[2]ـ ديقيشان أسماء، الدين ومظاهر التدين في الأسرة الجزائرية، شهادة ماجستير، إشراف بوشيخاوي أسمهان، علم اجتماع، جامعة وهران، الجزائر، ص10.

الجانب الواقعي في حياة الإنسان، وتعتبر الديانات السماوية الثلاثة: اليهودية والمسحية والإسلامية أوسع انتشارا حول العالم.

وانتشر الدين الإسلامي بشكل رئيسي في مناطق شمال القارة الإفريقية وفي مساحات واسعة من القارة الأسيوية، فالإسلام هو دين الله تعالى ارتضاه للبشرية، فهو خاتم الديانات السماوية لقوله تعالى: {اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [سورة المائدة: 03].

"يعرف الإسلام بأنه ديانة للأمة الإسلامية ممثلا لأصالتها وهويتها، فهو الذي يطبع ويصحح ثقافتها بِطَابِعِهِ ويصوغ نظرتها للكون وللذات وللآخر، وقد أوردت دائرة المعارف الإسلامية في تعريفها للإسلام : أنه الاسم الذي ينطقه المسلمون في كل قطر في عقيدتهم ومن هذه الكلمة الخضوع والاستسلام لله".[1]

من خلال هذا التعريف نرى بأن الدين هو الخضوع والانقياد التام للأوامر والنواهي، وهو لفظ يراد به طاعة مطلقة، وهو يعد المنبع الوحيد الذي يقوم ويبني الهوية الإنسانية.

جاءت شخصية نادر الشاوي في الرواية شخصية مؤمنة واستخدمتها الرّواية كنموذج للدين، كما أوضحت الرّاوية أن هذا الإيمان هو الذي ساعده على التخلص من جميع المشكلات التي واجهته، وما يدل على إيمانه ما قالته الروائية على لسانه: ".. بيت الله هو بيت المسلمين جميعا كنت لأجد فيه يد المعونة حتما مثلما وجدتها من الدكتور عمر..".[2]

وقالت أيضا: "توضأت كما لم أتوضأ من قبل ثم دخلت قاعة الصلاة جلست في الأرض في خشوع وسكينة، يا الله، لماذا لم ألجأ إليك منذ البداية؟ أنت رحمتني وأنقذتني من الموت المحتم في عرض البحر، أنت أرحم بعبادك من الأم الحانية على فلذة كبدها..".[3]

---

[1]ـ موسى ميعرشي، الجدل الديني والسياسي في اليهودية، ط1، ت2010، ص36.

[2]ـ المصدر السابق، ص90.

[3]ـ المصدر نفسه، ص90.

فنادر الشاوي بعدما دخل المسجد أحس براحة وطمأنينة لم يشعر بهما من قبل فبيت الله هو بيت المسلمين، فأخذ يدعو الله أن يزيح عنه الهموم وأن يفرج عنه المشاكل التي حلت به والوضع الذي هو عليه مع ارتفاع شهقاته الباكية، كما أنه شكر الله وحمده على رحمته له من الموت في عرض البحر، كما لاَمَ نادر نفسه على تقصيره اتجاه دينه منذ وصوله إلى فرنسا وما يدل على ذلك ما قالته الروائية على لسانه: "لم أكن قد صليت صلاة واحدة منذ مغادرتي أرض الجزائر".[1]

وقالت: "لماذا لم يخطر ببالي منذ البداية أن ألجأ إلى المسجد؟".[2]

وكل هذا بفضل الدكتور عمر الذي عثر عليه في المترو والذي أمسك به متلبسا بسرقة حقيبة سيّدة عجوز ولكن سرعان ما أطلق سراحه عند معرفة الدكتور بظروفه وعند رؤيته لبكائه و لحالته التي كانت مثيرة للشفقة، ودليل ذلك في الرواية جاء في قول نادر في نفسه: "لم يسمع خلالها غير نشيجي المتقطع..".[3]

ولم يكتفِ الدكتور عمر بإطلاق سراحه بل وأخذ بيده إلى المسجد، بقوله في الرواية: "أنا ذاهب إلى المسجد.. تعال معي".[4]

وعند وصوله إلى بيت الله وصفه نادر أنه بمثابة حلم، فهو المكان الذي يشعر فيه بالراحة والسكينة والأمان والسلام، كما أدرك مدى أهمية التقرّب من الله تعالى وأن لا منجى ولا ملجأ إلا إليه.

كما ذكرت الروائية خولة حمدي في الرّواية على لسان رنيم الختان بقولها: "..تفسير تلك العادة الإسلامية تناسب فهمي وتخفف من صدمتي"[5]، ومن المعروف في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أن الختان من سنن الفطرة ومن شعائر المسلمين، وفي القول السابق لرنيم

---

[1]ـ المصدر السابق، ص90.

[2]ـ المصدر نفسه، ص90.

[3]ـ المصدر نفسه، ص89.

[4]ـ المصدر نفسه، ص90.

[5]ـ المصدر نفسه، ص335.

هو توضيح وتفسير لديانا عن الختان بعد خوفها على حفيدها بأن يصاب بضرر فهي بالنسبة لها عادة غريبة عليها، فالختان عادة إسلامية فرضها الإسلام على المسلمين. جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "((خَمْس من الفِطْرَةُ: قَصُّ الشَارِبُ ونَتْفُ الإِبِطِ وتَقْلِيمُ الأَظَافِرِ والاسْتِحْدَاد والخِتَانُ))"[1]

وبرغم اختلاف الإسلام عن الأديان الأخرى إلا أنه لم يكن ضد أي ديانة، فهو يدعو إلى التسامح والسلام ومخالطة الناس فهو دين المحبة والألفة، فالقرآن يحترم الديانة اليهودية والمسيحية باعتبارهما من الديانات السماوية، ولكن في المقابل تنظر الديانات الأخرى للإسلام بنظرة عدوانية ولا يعاملون المسلمين بنفس المعاملة التي يعاملها المسلم لهم وهذا ما حدث مع نادر الشاوي حيث قال: "إعلانِ انتمائي لديني في بلاد تعلي من شأن اللائكية سيقلص حظوظي في الحصول على لقمة تسّد رمقّي...".[2]

واستشهدت الروائية في روايتها ببعض الآيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}[3][سورة البقرة: 152]، وجاءت هذه الآية بعدما أحس نادر أن وضعه عاد مثل ما كان عليه، أي من نقطة البداية بعدما تطهر وأصبح يصلي خمس مرات في اليوم كما أصبح يسأل نفسه في حيرة أين سوف يصلي وهذا بعد مغادرته لمنزل الدكتور عمر الذي كان يأويه، بعد مداهمة الشرطة للمنزل فهرب خوفا من أن يمسك به ويتم ترحيله للجزائر، فنادر لا يريد من الشعب الفرنسي أن يرى مشهد مشّردٍ يسجد في الطريق العامّة، فهو لا يريد أن يسبب حرجاً للمسلمين وأن لا يعطي مجالا لدعاية الإسلاموفوبيا، وهنا رفع نادر رأسه للسماء وقال يا رب!، وفي صدره أهات وحزن وعند ذكره لله تعالى أتته عجائب قدرته، وأرسل له الفرج وهو لقاؤه بجابر وأخذه معه.

---

[1]ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، ر ح: 5889، ج 3، ص99.

[2]ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ص115.

[3]ـ المصدر نفسه، ص115.

وذكرت خولة حمدي في روايتها أن نادر التقى بشيخين هما المختار والبشير، ومن خلال ما نلاحظه في الرواية أن المسلمين المهاجرين انقسموا إلى فئتين: فئة الشيخ المختار وفئة الشيخ البشير، ففئة الشيخ المختار تدعوا إلى إعلان الحرب في فرنسا ومحاربة غير المسلمين فهي تجعل من الشباب أشخاصا متعصبين ومنغلقين بعدما أعطت هذه الفئة لكل منهم مهنة شريفة ويدل هذا في قول ليليان وهي تخاطبه: "المختار لا يؤمن جانبه".[1]

ويدل ذلك أيضا في قول أحد تلاميذ الشيخ المختار وهو يحاور الشيخ البشير: "..لكن الواقع اختلف يا سيدي، ألا ترى كيف صاروا يضيّقون على الملتحين؟ ويمنعون المحجبات من الدراسة والعمل؟ ويغلقون المساجد؟ ويتهموننا بالإرهاب؟ ألا يعلنون علينا الحرب بهذا الشكل؟".[2]

والدلائل السابقة توضح على أن فكر الشيخ المختار طغى على تلاميذه وغسل لهم أدمغتهم.

وأما فئة الشيخ البشير فهي تدعوا إلى التسامح والتعاون والعيش بسلام ونبذ العنف وجاء هذا في الرّواية في قوله: "وإنّه ليحزنني ما يحصل من حولنا اليوم شباب في عمر الزهور لا يكاد يتعرف على دينه، ويغرّر به ليدخل متاهات العنف المهلكة، ألم يقل الله عزّ وجل في كتابه الحكيم: {وَجَادِلْهُمْ بِالَتِي هِي أَحْسَن} [سورة النحل: 125]، ألم يقل: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ القَلْبِ لَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ} [سورة آل عمران: 159]".[3]

واستشهد الشيخ البشير بهذه الآيات في خطبته على الحث على حسن معاملة غير المسلمين، كما وضح في خطبته أن الإسلام لم يقل اعتدوا على الآمنين ولم يقل هدّدوا و افزعوا وعادوا، وكما قال أن هناك جماعات تسمي نفسها بالإسلامية والإسلام بريء منها فهي جماعات تقوم على العدوانية واتباع العنف.

---

[1]ـ المصدر السابق، ص172.

[2]ـ المصدر نفسه، ص180.

[3]ـ المصدر نفسه، ص179.

واستشهد أيضا بآيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِينُ كلُهُ لِلّه} [سورة الأنفال: 39]، وقال عزّ وجل: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِبُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرَكُمْ عَلَيهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينْ} [سورة التوبة: 14].[1]

وفي الأخير، يمكننا القول أن الديانة الإسلامية جاءت هداية للإنسانية وجمعت الديانات السماوية السابقة لتصحيح العقيدة الدينية، كما نلاحظ أن الروائية خولة حمدي هي مسلمة وهذا من خلال إبرازها لأهمية الدين الإسلامي وتوظيفها لشخصية نادر الشاوي المسلم.

4ـ الهويّة:

عرفتها ماجدة حمودة بقولها: "بأنها ما يَصُمد من الإنسان عبر الزمن إذ تلازمه، مُكَوِنَةً شخصيته، ومُحَدِدَةً معالمه بشكل ثابت، مما يمنع إبداعه طابعاً خاصا لهذا تعد شرطا ملازما للفرد يؤثر في الجماعة يمنحها صفة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل (الأنا) عن (النحن) لأن الهوية تحقق شعوراً غريزيا بالانتماء للجماعة والتماهي بها، فتتبادل معها الاعتراف بذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صاف وسيط".[2]

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الهوية تشير إلى شخصية كل فرد إذ تميزه عن غيره وتحدد انتماءه إلى أي مجتمع ووطن.

بدأت الروائية روايتها بالقول في الإهداء: أن تكون عاريا من الهويّة حافيا من الانتماء فذلك أقسى أشكال الفقر، وهنا توضح لنا أن الهوية لا تكون بدون إنتماء، وهذا ما نجده في الرواية عندما رَوَتْ أن نادر الشاوي تَسَلَبَ من هويته ومزق أوراق ثبوتيته وهذا من أجل الهجرة غير الشرعية للبلاد الأجنبية، فالهوية تسبب للمهاجرين غير القانونيين عائقاً، فعند الإمساك بهم ومعرفة هوياتهم يرحلونهم إلى بلادهم، وهو ماعبرت عنه الرواية على لسان

[1]ـ المصدر السابق، ص180.

[2]ـ ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د ط، ت2013، ص15.

نادر الشاوي: "لم أكن أمتلك جواز سفر، ولم أكن لأحتاجه في سفرتي هذه، يسمُوننا الحرّاقة لأنّنا نحرق أوراق ثبوتيتنا وجوازات سفرنا، حتى لا يتم ترحيلنا وإعادتنا إلى نقطة البداية".[1]

ونجد في قول آخر، تَنكر نادر أيضا لهويته خوفا من إعادته لوطنه: "حين سألني ربّان السّفينة من أين أتيت، أجبت من دون تردّد: العراق".[2]

وانتحل نادر الجنسية العراقية لأن فرنسا تستقبل اللاجئين العراقيين، لأنهم يمكنهم طلب اللجوء الإنساني أو السياسي لما يحدث لهم من أوضاع في بلادهم، من العدوان الأمريكي

كما أوضحت الروائية أن خليل الشاوي ابن نادر الشاوي كان متمسكا بأصله الفرنسي الذي كان يعتقد بأنه ينتمي إليه وجاء هذا في قول إحدى النساء له: ظننتك عربياً؟ حيث أجابها: "أنا فرنسي، آنستي، ولادة ونشأة وولاء".[3]

وخليل الشاوي مولود في فرنسا وناشئ فيها ذو أصول عربية جزائرية يعيش أزمة نفسية تجاه هويته في فرنسا ويسأل نفسه هل هو عربي أم فرنسي وذلك بعدما وصلته رسائل من أبيه الذي لا يعرف أصله حيث يخبره فيها عن تجارب خاضها خلال رحلته إلى فرنسا ومعاناته من التشرد والجوع والفقر وفقدان الهوية.

وكذلك رسائل من أمه التي كانت تترجمها من العربية إلى الفرنسية وتبعثها له، تصف له فيها على لسان أبيه أوضاع المجتمع الجزائري وكيف كان يعيش فيه، ويؤكد له في رسائله على التمسك بأصله وعُرْفِهِ بحثا عن هويته الأصلية حيث يقول والده في بداية رسائله: "حاول، افعل ما بوسعك..حتى لا تعرفه أبدا، فكل ما صنعته في ماضي وحاضري كان هدفه الأوحد ألا تجرّب الضياع كما عرفته".[4]

هنا يؤكد له التمسك بهويته كما تقول أمه في رسائلها له:

---

[1]ـ المصدر السابق، ص28.

[2]ـ المصدر نفسه، ص35.

[3]ـ المصدر نفسه، ص15.

[4]ـ المصدر نفسه ، ص25.

"هذا تاريخك، ميراثك... أحمله على عاتقك وسر به الطريق التي تختارها، لكن لا تهمله أو تتخلّ عنه، فأنت لا شيء من دون ماضيك وجذورك".[1]

نرى من هذا القول أن ديانا تقول لابنها خليل أن يحدد مصيره بنفسه دون أن تتدخل فيه ولكن بشرط أن لا يتخلى عن الماضي وعن أصله، وتفسر له أنه دون هوية لا شيء، فنلاحظ أن الهوية وقضيتها لم تقتصر على الجانب التاريخي فحسب، بل إن الاهتمام الأكبر كان مُنَصّبًا على مستقبله، وبذلك فالتخلي عن الماضي يؤدي به إلى التأزم في المستقبل.

وهذا ما حصل مع خليل الشاوي حيث علم بأصله وجذره بأنه من الجزائر وكان علمه بأصله في المرحلة التي يجهز فيها نفسه للانتخابات، ومن هنا دخل دوامة الارتباك والقلق والحيرة حول ما يشار له من قبول أو رفض من المجتمع الفرنسي ومعرفته لأصوله العربية.

فيلقى خليل الشاوي اللوم وتحسر على أمه التي لم تخبره بحقيقة أصله بالرغم من الوعود التي قطعتها لأبيه وحاولت إخفاء هويته الأصلية أو الحقيقية حيث فعلت ذلك خوفا من الفرنسيين لأن الآخر ينظر لها على أنها قضية إرهاب وإجرام.

ويقول خليل: "..لكنها أخلفت وتنكرت لعهودها وقالت أنّها خافت عليّ من هوية كانت ومازالت علامة اتهام ومسحت الماضي من ذاكرتها ونكّرت لي جذوري".[2]

حيث عاش خليل هذه الفترة في تفكك وتشتت في هويته وبالرغم من ذلك استطاع خليل أن يتخطى المحنة والأزمة وذلك لتعلمه التجربة التي خاضتها رنيم ذات الأصول المصرية العربية والتي كانت تعيش في فرنسا حيث تقول: "فأسهم في ردم جزء من الهوّة الفاصلة بين جذوري وفروعي، واخترت أن أكون مزيجا متوازنا من ثقافتين تعرفان بشكل متساوٍ من أكون، أنا رنيم شاكر.. مصرية فرنسية".[3]

---

[1]ـ المصدر السابق، ص370 ـ 371.

[2]ـ المصدر نفسه ، ص372.

[3]ـ المصدر نفسه، ص337.

فكان خليل بهذه الفكرة يوازي ويعادل بين الحضارة والثقافة وأن الحياة بدون أصل لا حياة لأن من خلالها تميز بين مجموعة وأخرى، وبين شخص و آخر، لأنها هي الانتماء الذي ينتميه الفرد.

5 ـ البطالة:

تعرف البطالة على أنها "التعطل والتوقف الجبري أو الاختياري في بعض الأحيان لجزء من القوة العاملة في مجتمع ما، على الرغم من قدرة القوة العاملة ورغبتها في العمل والإنتاج".[1]

وتعرف أيضا "بأنها حالة عدم توافر العمل للشخص الراغب في المهنة تتفق مع استعداداته وقدراته وذلك نظرا لحالة سوق العمل".[2]

البطالة تطلق على أحوال الأشخاص الذين يمتلكون إمكانية القيام بالأعمال التي تضمن لهم حياة جيدة، لكنهم لم يجدوا فرصة للعمل في المجتمع الذي يعيشون فيه مع امتلاك البعض لشهادات جامعية وهو واقع يعاش حاليا، وهذا ما يجعل هؤلاء الأشخاص لا يملكون مدخولا ليعيشوا به، وهذا ما كشفت عنه الروائية خولة حمدي في روايتها بقولها على لسان نادر: "غريب أمر تلك الحرَفِ التي كنت أترفع على مزاولتها في بلدي بين أهلي بأنفة، لأنها لا تليق بشاب جامعي مثليٍ".[3]

أصبحت ظاهرة البطالة تسود معظم البلدان وهذا من خلال توظيف خولة حمدي لشخصية نادر الشاوي في روايتها الذي يعاني من عدم إيجاده للعمل بعد هجرته إلى فرنسا، كما أنها تعد رسالة أو فكرة تريد إيصالها للشباب الذين يحلمون بالهجرة إلى البلاد الأجنبية

---

[1] ـ خالد الوزني ـ أحمد الرفاعي، مبادئ الاقتصاد الكلي بين النظرية والتطبيق، دار وائل لنشر، عمان، الأردن، ت2006، ص162.

[2] ـ عبد القادر عطية، الحديث في الاقتصاد القياسي بين النظرية ولتطبيق، دار الجامعية، الإسكندرية، ت2003

[3] ـ المرجع نفسه، ص125.

للقضاء وتفاديا للبطالة والفقر، ولإيجاد عمل ولتحسين أوضاعهم، فهم يعتقدون أنها جنة على الأرض حيث تقول الرّاوية: "ها قد عبرت المتوسط، فأين الجنّة؟".[1]

كما جاءت شخصية البطل نموذجاً لشباب يحلمون بالهجرة لتحقيق أحلامهم الواعدة وتجلى هذا عند وصول بطل الرواية إلى فرنسا معتقدا أن حياته ستبدأ من الآن، لكن انصدم بالواقع المفزع فوجد نفسه قد أصبح متشرداً وبلا مأوىً وأصبح يقضي لياليه في العراء، وندم على ذهابه لفرنسا وهذا ما تقوله الروائية على لسانه: "ما الذي جئت أفعله في هذه البلاد؟".[2]

وتشرده جعله يتلقى الرفض والطرد من قبل رُؤساء المتاجر والمحلات بسبب ثيابه المتسخة والرثة فهو يجب أن يغتسل ويلبس لباسا نظيفا وأن يكون على هيئة محترمة للحصول على عمل وهذه كانت شروط الرؤساء، فهم لا يوظفون المتشردين، ولكن نادر كان يريد فرصة عمل ليكون بصورة محترمه ويحقق هذه الشروط وجاء على لسانه في الرواية: "لكنّني أينما توجهت كنت أقابل بالرفض والطرد، أحيانا كنت أسمع أقذع السِّباب".[3]

من المعروف في المجتمعات، تتعدد الأعمال فيها ولكن في هذه الرواية وضحت الروائية أن الأعمال التي تقدم للمتشردين ما هي إلا أعمال محتقرة، حيث بينت أن نادر كانت له بعض الخيارات للحصول على العمل كشركة الأدوية التي كانت توظف المتشردين لاختبار عقاراتها قبل بيعها في الأسواق فهي تعاملهم كفئران تجارب كما تجعلهم يوقعون على تصريح أن الشركة ليست مسؤولة عنه إذا وقع له مكروه، وهذا ما جاء في رسائل نادر

[1]ـ خولة حمدي رواية أن تبقى، ص51.

[2]ـ المصدر نفسه، ص50.

[3]ـ المصدر نفسه، ص52.

لابنه عندما قال: "بعد التجارب المخبرية على الفئران البيضاء، تعتمد الشركات الخاصة على المشردين والمعدمين".[1]

وتحدثت الرواية عن فرصة عمل جاءت لنادر كمخبر سري لصالح الشرطة وهي الإبلاغ عن السرقة أو الخطف أو التجسس على بعض الأشخاص المشبوه فيهم ولكنه لم يكن مرشحاً لهذا العمل لأنه كان متابعا من طرف(ماتيو) الذي كان يكرهه المتشردون ويحتقرونه، كما أنه لم يتقبله لأسباب يذكرها في قوله: "كرامة المتشرد لا تسمح له بالعمالة للشرطة".[2]

كما أن التجسس نهى عنه الإسلام فهي عادة مكروهة ومن الأخلاق السيئة، قال الله تعالى: {وَلاَ تَجَسَّسُوا} [سورة الحجرات: 12].

ووظفت الروائية في الرواية شخصية جابر البناء الذي أخذ بيد نادر وأخذه معه إلى القبو الذي يتخذه مأوى له مع بعض العمال للإقامة، ولكن لم تكن مجانية بل كانوا ستة أشخاص يتقاسمون إيجار الغرفة وأصبح نادر سابعهم، ولكن، نادر لم يكن يحمل معه حق الإيجار وأصبح دينا في رقبته حتى يجد عملاً ويسدد دينه، حيث يقول: "وضّح لي جابر القانون الجاري العمل به، لن تكون الإقامة من باب الإحسان".[3]

كما أوضحت الروائية أن الزمن قد تغير وأصبح العمال هم من يطالبون بالعمل، ولم يعد مشرفو العمل يبحثون عن العمال الآن، فالعمال هم من أصبحوا يقتربون من صاحب العمل ويكاد يترجونه من أجل عمل قد يدوم لأسبوع، وجاء هذا على لسان جابر البناء.

وبعد عناء وشقاء نادر الشاوي في البحث عن العمل، أخيرا وصل إلى مبتغاه ووظفه متعهد إسباني، ووصفها نادر بالمعجزة الحقيقية ،لأنه كان يائسا من إيجاد عمل، وكان العمل مجرد التحميل والنقل من مكان إلى آخر، فهو لم يكن يجيد أعمال البناء، لذلك

---

[1]ـ المصدر السابق، ص52.

[2]ـ المصدر نفسه، ص53.

[3]ـ المصدر نفسه، ص117.

اقتصر عمله على ذلك: "كان يحتاج إلى عدد من العمّال لتحميل بشكل خاص، وفي هذه المهمّة لا اعتبار للخبرة والمهارة".[1]

وكما بيّنت الرّاوية أن العمل الذي حصل عليه نادر بعد شقاء لم يكن بالنسبة له سهلا فهو عانى منه وأرهقه، كما أنها أيضا تنبه الشباب إلى أن الحصول على عمل بعد التشرد في البلاد الأجنبية ليس بالسهل فهو متعب وعسر، وهذا ما جسدته في شخصية نادر بعد عثوره على العمل فتقول: "أبدأ بإفراغ أكياس الإسمنت من الشاحنات، ثم أنقل أعمدة الحديد وقطع الأجر الأحمر أو الحجارة البيضاء إلى أسفل البناية".[2]

لكن نادر يقع في أوحال البطالة مرة أخرى، وهذا بعد طرده بسبب الرصاصة التي في رأسه، التي أصبحت تؤثر عليه بنوبات مستمرة، ما جعله يفقد السيطرة على نفسه في العمل ويفقد وعيه وسببت له خسارة لرئيسه ولنفسه في فقدان عمله، وبينت الرّواية ذلك في رسائل نادر الشاوي لابنه خليل حيث قال له فيها: ".. بعد أن فقدت الوعي بلحظات، فقدت عملي".[3]

6 ـ المخدرات:

يمكن تعريف المخدرات بأنها "كل ما يشوش العقل أو يثبطه أو يخدره، ويغير تفكير وشخصية الفرد، وهناك فرق بين التعود والإدمان، فالاعتياد مرحلة تؤدي إلى الإدمان وهي حالة تشوق لتعاطي عقارٍ معين من خصائصه وجود رغبة قهرية لدى المتعود بالتمادي و الاعتياد".[4]

ومن المعروف أن المخدرات هي من الآفات الاجتماعية التي أصبحت في وقتنا الحالي يتعاطاها ويدمنها معظم الشباب وهذا ما يجعلهم يميلون إلى ارتكاب الجرائم وغير متحملين للمسؤولية في أسرهم، وقد تحدثت خولة حمدي عن شخصية نادر في هذه الرواية

[1] ـ المصدر السابق، ص124.

[2] ـ المصدر نفسه، ص124.

[3] ـ المصدر نفسه، ص142.

[4] ـ الدكتور خالد حمد المهند، المخدرات وأثرها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، قطر، د ط، ت2013، ص23.

الذي أصبح مدمناً للمخدرات بعدما كان مدمن سجائر في السابق بقولها على لسانه: "أدمنت الحبوب المخدّرة"[1]، وبينت أيضا بوصف نادر لنفسه بقوله: "حين تدحرجت الحبة الأخيرة حتى استقرّت في راحة يدي تملّكني الفزع، لم يبق معي غيرها!، يجب أن أحصل على المزيد".[2]

والإدمان هو التعلق بالمادة المخدرة التي يتعاطاها الشخص المدمن فهو لا يستطيع التخلي عنها ولا يستطيع التوقف عن تناولها، فتناولها يشعر المدمن بالراحة، فهي الميل لزيادة الجرعة المتعاطاة، والتخلي عن هذه المادة تسبب لمدمنها القلق والانهيار العصبي وهذا ما كشفت عنه الرواية في توصيف حالة نادر وهو يتعاطى الحبوب:

"أريد حبوب..

أيّ حبوب؟ لقد أعطيتك كل ما عندي، وأذكرك أنك لم تدفع ثمنها بعد؟

سأدفع..سأدفع.. لكنني أحتاجها.. أحتاجها الآن".[3]

وقد كشفت الرواية في هذا الحديث عن أسباب إدمان معظم شبابنا، وهو أمر راجع إلى الظروف الصعبة التي يعيشها الشخص، وذكرت هذا في الرواية بقولها عند وصول نادر إلى فرنسا، فتفاجأ بالواقع، أصبح متشرداً وبلا مأوى ويتحول إلى فريسة سهلة استغلها أرباب الفساد وتجار الرذيلة، وهذا ما فعله به جابر البناء الذي قاده إلى طريق الإدمان، وجاء هذا في قول نادر: "حصلت على علبة حبوب، من جابر، كان يستعملها بشكل متقطع، كلما جافاه النعاس".[4]

وذكرت أيضا من أسبابه عدم الحصول على العمل وهذا واضح من بحث نادر عن عمل وهو الذي هاجر وتغرب عن وطنه بسبب البطالة والفقر بغية الحصول على لقمة العيش.

---

[1]ـ المصدر السابق، ص144.

[2]ـ المصدر نفسه، ص144.

[3]ـ المصدر نفسه، ص144.

[4]ـ المصدر نفسه، ص144.

كما قالت أيضا أن الظروف الصعبة في العمل قد تؤدي إلى إدمان الشخص والحال الذي وصل إليه نادر عند عمله كحامل لمواد البناء واحتقاره من طرف رئيسه وتعنفه وشتمه بألفاظ غير لائقة مما أدى إلى تدهور حالته النفسية، حيث نجد ذلك في الرواية بقول رئيس العمل له: "تحرّك يا حمار، تحرّك يا بغل".[1]

نرى أنّ بعض الشباب أصبح يلقي بنفسه إلى التهلكة نتيجة إدمان المخدرات والسموم التي تضر بصحته، فتعاطي المخدرات أصبح يرتبط بجرائم العنف والقتل والسرقة والتهديد والانتحار وغيرها من الجرائم.

كما أن المخدرات تسبب تغييراً في نشاط الدماغ وهذا ما يولّد لدى الشخص المدمن رغبة شديدة في تناولها وكل تلك الأحوال وضحتها خولة حمدي في الرواية بشخصية نادر الشاوي المتعاطي للمخدرات لأنها كانت تريح دماغه الذي كان مصابا برصاصة تسبب له نوبات ورعشات تنتابه بين الفترة والأخرى وجعل من الحبوب الهلوسة مسكنا لنوباته.

[1]ـ المصدر السابق، ص141.

الفصل الثاني:

الأبعاد النفسية في الرّواية

ـ مفهوم المنهج النفسي:

إن الكشف عن الأبعاد النفسية والأحوال التي تتأثر بها الشخصية نتيجة الأحداث التي تتفاعل فيها مع باقي الشخصيات، لا يمكن بلوغه إلا من خلال رؤية نفسية عميقة تستند إلى المعطيات النفسية التي أقرها المنهج النفسي.

وبناء عليه، يجب الوقوف على هذا المنهج وطريقته في تحليل الأبعاد النفسية جراء تفاعلات الإنسان مع أحداث واقعه.

يعنى المنهج النفسي بدراسة شخصية الأديب والعملية الإبداعية ودراسة العمل الأدبي يعرفه السيد قطب على أنه: "استجابة معينة لمؤثرات خاصة، وهو بمبدأ الوصف عمل صادر عن مجموعة من القوى النفسيّة، هذا من حيث المصدر، أما الوظيفة فهو مؤثر يستند عن استجابة معينة في نفوس أخرى".[1]

وظهر المنهج النفسي "على يد سيغموند فرويد(1856_1939) في أواخر القرن التاسع عشر من خلال كتابه (تفسير الأحلام) 1900،واتصلت الدراسة النفسية بالأدب والفنً وذلك من خلال توضيح عملية الإبداع وصلة الإنتاج الفني بِمُدِعِهِ، ولعله من الصعوبة بمكان أن يتشكل أدب دون أن يكون هذا الأدب جزءا أو بعض نفس صاحبه أو من إحساسه بما حوله على أقل تقدير، وهذا يعني ببساطة أن الإنتاج الأدبي هو أولا وقبل كل شيء إنتاج نفس بشرية لها نوازعها ورغباتها ووعيها ولاوعيها وطرائقها في التفكير والمعالجة .

وتقوم فكرة التحليل النفسي على أساس التسليم بنظرية العقل الباطن التي تفترض تقسيم الحياة العقلية إلى قسمين: العقل الظاهر أو الشعور، والعقل الباطن أو اللاشعور، وتنطلق هذه النظرية على أساس أن تفكيرنا الظاهر وتصرفاتنا الشعورية ما هي إلا نتيجة عمليات نفسية لا شعورية تجري في العقل الباطن مستقلة عن إرادتنا، ويمكن التدليل على وجود

[1]ـ سيد القطب، النقد الأدبي، أصوله و مناهجه، دار الشروق، ط 6، ت1990، ص207.

العقل الباطن بإجراءات التحليل النفسي وبظواهر التنويم والأحلام والظواهر النفسية الشاذة أو المرضية".[1]

و"يستمد المنهج النفساني آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي أو التحلفسي على حد نحت عبد الملك مرتاض والتي أسسها سيغموند فرويد في مطلع القرن العشرين، وفسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)، وخلاصة هذا التطور أن في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لا شعوره فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة (أحلام النوم، أحلام اليقظة، هذيان العصابين، الأعمال الفنية)".[2]

وقد يشير هذا المنهج "إلى اتجاه معين ووجهة نظر بالظواهر النفسية ويدل أيضا على منهج خاص في تشخيص وعلاج الاضطرابات العصبية والعقلية ويتميز بوجهة نظر تحليل نفسي بالنظرة الديناميكية للحياة الشعورية أو اللاشعورية خاصة مع ظاهرة اللاشعور".[3]

ويرى أصحاب هذا المنهج أن العمل الإبداعي هو"صورة للحياة النفسية للأديب وتاريخ حياته الباطنية، ويدعو إلى دراسة الحالة النفسية للأديب بمعزل عن النص الأدبي، يساعد في فهم النص الأدبي الذي أنتجه ذلك الأديب ثم دراسة الأديب من خلال النص".[4]

وخلاصة القول أن المنهج النفسي يقوم بدراسة كل الأعمال الأدبية، وهذا بتحليل شخصيات الأدباء، وقد تكون وراء هذه الأعمال رغبات مكبوتة يحاول الأديب بأدبه إخراجها في هذه الأعمال في مجتمع قد لا يتيح له ذلك.

---

[1]ـ بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، ط1، ت2007، ص50.

[2]ـ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور لنشر والتوزيع، ط1، ت2007، ص22.

[3]ـ شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجماعية الجزائر، ت1985.

[4]ـ إبراهيم علي السلطاني، التحليل النفسي في نص الأدبي، دار الجليس الزمان، ط1، ت2010، ص23.

ويبدو لنا من خلال رواية خولة حمدي أن شخصية البطل نادر الشاوي عاش آثاراً وجوانب نفسية، نذكر أهم ما وقفنا عنده في هذه الرواية: (السعادة، الصدمة، القلق، التوتر، الحزن، الألم، الندم، الحرمان، العنف، التمرّد).

1ـ السعادة:

تُعْرَفُ السعادة على أنها "اِنفعال وجداني إيجابي ثابت نسبياً يتمثل في إحساس الفرد بالبهجة والفرح والسرور، وغياب المشاعر السلبيّة من الخوف والقلق والاكتئاب والتمتع بصحة البدن والعقل، بالإضافة إلى الشعور بالرضا الشامل في مجالات الحياة المختلفة".[1]

ويمكننا القول بأنها شعور بالانبساط وتجربة الفرح، كما أنها تعبر عن الحالة النفسية للشخص بشعوره بالرضا والارتياح واستقرار البال.

وتظهر سعادة نادر الشاوي في الرواية بعد إيجاده لمأوى عند الدكتور عمر الذي كان يأخذ بيده إلى السجن بعد إمساكه متلبسا بالسرقة من أجل لقمة العيش فهو عانى من التشرد والضياع منذ وصوله إلى فرنسا وهذا ما جعله مضطرا للسرقة.

عاد نادر إلى الهداية بعد وعده للدكتور عمر بعدم تكرار ذلك ويتجلى هذا في الرواية: "تلك الليلة في مسكن الدكتور عمر كانت واحدة من أهنأ لياليَّ زمن الغربة، حين فتحت عينيّ في صباح، كانت الابتسامة ولأول مرّ منذ زمن بعيد، تملأ وجهي، ابتسامة حالمة.. بطعم الأحلام الزاهية التي راودتني في المنام".[2]

كما استطاع نادر الشاوي أيضا الوصول إلى السعادة بعد توظيفه وحصوله على أول راتب له بعد معاناة كبيرة خاضها، وإحساسه بأنه يمكن تحسين أوضاعه في العيش وهذا ما

---

[1]ـ البهاص، العفو كمتغير وسيط بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والشعور بالسعادة، مجلة الإرشاد النفسي، ت2009، ص332.

[2]ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ص91.

يقول: "حين استقرت الأوراق النقدية الأولى في جيبي بعد انتهاء أسبوع العمل الأول، سرت للبيت كأنيّ أطير، لا أكاد أشعر بالأرض تحت قدميّ".[1]

كما بدت السعادة على الشخصية ديانا زوجة نادر وهذا خلال تعرفها عليه أول مرة وتبادلهما أطراف الحديث وصوت ضحكاتها تملأ المنزل كأنها لم تضحك من قبل وهذا ما ذكرته خولة حمدي على لسان نادر: "وقد قرأت في عينيها حينها فرحة عارمة، علمت فيما بعد أنّ ديانا لم تكن قد ضحكت بتلك الطلاقة منذ سنوات..".[2]

كما تجلت السعادة أيضا عند وصول ديانا إلى الجزائر ومشاهدتها لفرحة العائلة والأقارب والجيران بحفل ختان ابنهم الذي ابتدأ بالزينة في الشوارع، مغنيين وقارعين الطبول ويلبسون لباساً زاهياً معبرين عن فرحتهم: "يلبسن أقمشة مزركشة زاهية في مهرجان الألوان، كأنّما يتنافسن على إبداء الفرحة، وكلّما مالت الأجواء إلى الفتور، بادرت إحداهنّ بإطلاق زغرودة".[3]

وكما تمحورت السعادة أيضا في الرواية عند نادر الشاوي وهذا عند انتقاله مع زوجته ديانا إلى شقة صغيرة ومريحة، وتوظيفه في مطعم وجبات سريعة، فهو أصبح يأكل لقمة العيش بحلال، مع ولادة ابنه خليل الصبيّ الصغير البهيّ الطلعة اكتملت الفرحة به، مع جسد سليم لا يشكو من شيء، واعتبر نادر هذا كله مفهوماً جديداً للجنة وجاء هذا في رسائله التي كتبها لابنه: "إنّ مثل رزق المرء ونصيبه من السّعادة والحكمة وراحة البال كمثل عقد من الخرز.. يستمرّ في جمع حبّاته...حتى يكتمل العقد... ولعلّ حبّات عقدي قد اكتملت حين رُزقتك..".[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص129.

[2]- المصدر نفسه، ص 173-174.

[3]- المصدر نفسه، ص331.

[4]- المصدر نفسه، ص291.

وما ذكرناه هو من أهم تجليات مظاهر السعادة الموجودة في الرواية، غير أن ما وجده نادر من سعادة في بعض اللحظات من حياته، اصطدم بلحظات أخرى بسبب معاناته ومصائبه التي واجهها منذ رحلته إلى اكتشاف مرضه.

2ـ الصدمة:

إن الصدمة هي "الإثارة النفسية التي تنتج عن حدث يكون غالبا حدثا مفاجئا أو غير متوقع وغير منتظر، يؤدي إلى مشاكل نفسية أو جسدية، كوفاة شخص عزيز، أو مثل ما يحدث عند الإخفاق في شهادة الباكالوريا، خاصة عند الطلبة النجباء، الأمر الذي يؤدي إلى استثارة انفعالية شديدة قد تُفْقِدُ الجهاز النفسي توازنه".[1]

ويمكننا القول أن الصدمة هي ضرر نفسي يصيب الإنسان يُسَبِبُه غالباً موقف أو حدث يقع فيه، بحيث أنه يتضرر نفسياً بسببهِ، وهذا ما حدث مع شخصية نادر الشاوي الذي مرّ بعدة صدمات أدت به إلى الضرر نفسيّاً.

ونجد في الرواية أن نادر عند وصوله إلى فرنسا عبر قوارب الموت انصدم بالواقع الذي التقاه، ولم يكن يتوقع أن يكون متشردا وبلا مأوى فكانت صدمته بين الواقع والحلم الذي كان يرسمه في مخيلته، وهذا ما تحدثت عنه الرواية على لسان نادر: "..وجنّة البشر على الأرض، في خيالي وخيال الشبان حي العاطلين، كانت أوروبا هي الجنة، فألقينا بأجسادنا في اليمّ نروم الموت، لعلّ الموج يلفظنا، فنبعث على شواطئ شمال المتوسط، في الجنة التي نبغي، الجنة الآن، فهل كانت؟".[2]

توضّح الكاتبة أن الشباب يعتقدون أن أوروبا هي الجنّة على الأرض، ويعتقدون أنها خلاصهم من البطالة والفقر، والأوضاع التي عاشها نادر هنا في الجزائر ما هي إلا نفس الأوضاع التي عاشها في بلاد الغربة بل وأكثر، فقد أوقعته في صدمة ولقي نفسه متشرداً

[1]ـ ينظر، نادية شرادي، محاضرة مفهوم الصدمة النفسية، مقياس علم النفس الصدمي، القاهرة، ت2011، ص 2.
[2]ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ص47ـ48.

وتلك الصدمة عبر عنها بقوله: "انحسرت الأحلام أكثر حين طالعتني وجوه الصّبيان الذّاكنة... وجوه مشتتة ضائعة تشبه كثيرا الوجوه الكئيبة والمحفورة في ذاكرتي، وجوه الفقر وجوه الجوع، الوجوه التي فرّت من عنّابة حتى لا ألمحها مجدّدا".[1]

ونجد أن الطريق الذي سلكه نادر في هجرته إلى فرنسا عبر البحر كان من المفترض أن يمرّ بمراحل، كان من القارب الذي يركب عليه، ينتقل إلى مركب صّيد الذي ينقلهم إلى المياه الإقليمية، ثمّ ينتقل إلى سفينة شحن أكبر تأخذه إلى الضفة الأخرى بسلام، وحين انتظارهم السفينة الكبرى، اِلتقوا بمركب أخرى محملة بمهاجرين أفارقة وموريتانيين وماليين فهنا كانت الصدمة، سفينة الشحن لا تقدر على حمل هذا الكم الهائل من المهاجرين، فهاجم رجلان الرّبان ولكن سرعان ما أنقضه مشرفيْ الرّحلة، وألقوا بهما في عرض البحر، فانصدم نادر بعد لحظات بوجود دماء على سطح الماء، وسماعه لمروحة المحرك تقطع في أجسامهم: "استحال سطح الماء صافي الزرقة إلى لون دمٍ، اتّسعت بركة حمراء قاتمة أسفل مروحة....بعد انقضاء الصّدمة، انحنى بعض الرجال على حافة مركب يفتشون عن ناجٍ..".[2]

وكانت الصدمة بادية على ديانا عند قدومها إلى الجزائر ومعرفتها بختان اِبن خليل فهذه العادة غريبة وقويت صدمتها عندما أرادُوا أخذ الولد منها لختانه فقالت: "ختانه؟ صدمت، عن أيّ ختان تتحدثّ؟ ولم تكن الدّماء تعود تدريجيّا إلى وجهي وقد فهمت نوع المناسبة..".[3]

ومن خلال قراءتنا للرّواية لحظنا أن نادر الشاوي مصاب برصاصة في دماغه منذ كان في الجزائر، قد عانى منها بنوبات وفقدانه للوعي، وأجرى جراحة على دماغه وأخرجها ولكن انصدم نادر بعد فترة بوجود كتلة نسيجيّة في دماغه يكبر حجمها كلما كبر في السنّ

[1]- المصدر السابق، ص48.

[2]- المصدر نفسه، ص29-30.

[3]- المصدر نفسه، ص334-335.

والأطباء أخبروه بأنه سيعيش لمدة ستة أشهر ولكن العلم لا يستطيع تحديد أعمار البشر وجاء وقوع الصدمة عند علمه بالأمر: "..عادت إلى التمدّد.. كبر حجمها... أصبحت الآن تضغط من جديد على مراكز الحواسّ.. وإذا كبرت أكثر.. تدمّر مراكز الحياة في الدّماغ..

تدور بي الدّنيا، يضطرب تنفّسي...

للأسف، كما شرحت لك عند العمليّة الأولى، لا يمكن استئصال الكتلة النسيجيّة، الآنّ الموت سيكون فوريا.."[1].

وأخفى نادر هذا على عائلته وزوجته ديانا، ولكن سرعان ما علمت بالأمر، فكانت صدمتها عند علمها بمرضه وقالت:

"مصدومة كنت، لا أعي ما يقول، ردّدت متأتأة:

ستّة أشهر؟

بل خمسة ونصف، مضى أسبوعان مذ أعلن الطبيب الأجل..

يا للهول، ما أسمعه يدكّ سكينتي دكّا، ترتجف شفتاي وأنا أمعن التقصّي.."[2].

ذكرت الرّواية أن خليل قد فجر لغما في بثٍ مباشر وهي شرح واحدة من القضايا الأساسيّة التي سيهتم بها في حملته عند ترأسه البرلمان، وهي التقسيم الجغرافي للمنطقة الواحدة حسب الأصول، نتج عن هذا ظلم شديد لعائلات كثيرة، وما الهدف من قانون يجسد التفرقة كما قال وبكل وضوح أنه قانون سيّء ويجب إلغاؤه واسترجاع الحقوق إلى أصحابها وأثار هذا غضب الشارع الفرنسي مما جعلهم يهتفون بعبارات بذيئة وهنا كانت صدمة خليل وسيلين حيث جاء في رواية:

[1]- المصدر السابق، ص296.

[2]- المصدر نفسه، ص343.

"ـ ألقى نظرة... إلى الشارع الفرعي الهادئ، ثم تراجع مصعوقا، وكانت جموع غفيرة قد تجمّهرت عند المبنى.... تحمل لافتات تحمل صورته مشطوبة بالأحمر ومشوّهة بقرون وأنياب..

ياإلهي..

لم تكن سيلين أقّل صدمة منه.."[1].

كما ظهرت علامات الصدمة أيضا على مريم، وهي الفتاة التي سرقت الحافظة الإلكترونيّة لخليل الشاوي من مكتبه، وهذا لتنتقم منه، لأنه جعلها تنتظر كثيرا في قاعة الاستقبال، وهي التي كانت بحاجة لمحامي لتولي قضيتها، والصدمة كانت عند زيارة محامي خليل لمنزلها وعند فتحها الباب له، وجاء هذا في الرواية : " يا إلهي، لقد وصلت إلى هنا..."[2].

كما أنها صدمته بقولها له بأنها وظفت محامي غيره وجاء هذا في قول خليل: "لم أصدّق حين بلّغتني مريم يوم السّبت أنّها وجدت محاميا قَبِلَ بتولي القضيّة!"[3].

3ـ التوتر:

ويمكننا تعريفه بشكل مبسط على أنه ارتباك وإحساس بالخوف وبالضيق والقلق ينتج عن تعرض صاحب الحالة لأمر صعب يؤثر على نفسيته، وتلك الأحوال النفسية قد بدت على بعض شخصيات الرّواية، وخاصة شخصية نادر الشاوي الذي عاش هذه الحالات بعد هجرته، أصبح بلا مأوى وبلا عمل، وهذا سبب له حالة من التوتر والقلق.

ويمكننا القول أيضا أن التوتر يشير إلى تغيير في حالة التوازن النفسية، وقد يكون سببه زيادة متطلبات وضغوطات هذه الحياة، أو التفاعل مع الناس وعدم التوافق بين الزوجين والخوف من المرض..

---

[1]ـ المصدر السابق، ص380.

[2]ـ المصدر نفسه، ص97.

[3]ـ المصدر نفسه، ص98.

ويظهر التوتر أو القلق في الرّواية عند معرفة ديانا أن ابنها خليل قد علم برسائل والده التي أخفتها عنه، وجاء هذا عند إخباره لها أنها مكتوبة باللغة الفرنسية والعربية وسُؤالهُ لها ما الذي يجري، وجاء هذا في حوار لهما:

"أمي.. حصل أمر غريب اليوم، وصلتني رسائل...

ـ أجابه صمت المفاجأة على الطّرف الآخر، صمت رهيب مستمرّ، تساءل في قلق:

ـ أمي؟

تَنَفُسها المضطرب يصله بلا كلمات، ثم تنهيدة عميقة، تسبق صوتا مهزوزا لا يكاد يُسمَعْ".[1]

ووضحت الراوية خولة حمدي أن شخصية خليل الشاوي كان يسودها القلق والتوتر وهذا بسبب ترشحه للبرلمان الفرنسي، فمنذ اتخاذه لهذا القرار ضاق صدره، و أصبح يصاب بضيق تنفس مفاجئ كلما كان يفكر باحتمالية الخسارة أو الفوز: "يتابع باهتمام وتركيز... المشاهدة المسجّلة لبرنامج حواري حديث البث، يرقب بتوتر حبات العَرَق التي تلمع على جبين الضيف... تحت وطأة أسئلتها اللاذعة تساءل في جزع، هل سيشهد مصيرا مماثلا بعد أسبوع من الآن؟".[2]

كما بينت بأنه عاش توتراً عند تحضيره للخطاب ولحواره التلفزي، بإضافته لتعديلات أو تدوينات إضافية، كما كان في كل مرة يلقي نظرة على هذه الملاحظات مثل ممثل مسرح وذكرت الرواية: " يتحرّك في توتّر في اتّجاه طاولة المكتب، الّتي استقرت على سطحها لوحة إلكترونية وقلم رقمي، تحتضن مسودّة خطابه..".[3]

تجسد التوتر أيضا في الرّواية عند دخول نادر الشاوي القطار بدون تذكرة، وهو الذي لا يعلم إلى أين يتجه، وهذا بعد هروبه من شرطة مرسيليا، فتوتر نادر وخاف من أن يتم

---

[1]ـ المصدر السابق، ص21.

[2]ـ المصدر نفسه، ص10.

[3]ـ المصدر نفسه، ص18.

القبض عليه من طرف مراقبي التذاكر، فعند القبض عليه سوف يُرَحَلُ تماما إلى بلاده بعد هذا العناء الذي عاناه للوصول إلى هنا، وجاء هذا في حديثه لنفسه: " تكوّرت في مكاني متوّترا أقلب الإمكانيات المتاحة، هل أتظاهر بالنوم؟ لكنّ المراقب سيوقظني لا محالة".[1]

وختمت الروائية بأن مشروع خليل الذي أشار إليه في البث المباشر قد تحقق، وهذا عند اتصال أحد أصدقائه به وأخبره أن الجميع يريد أن يقاضي وزارة الإسكان، وأنهما سيكونان الممثلين الرسميين للمتضررين، ولم يصدق خليل هذا فوقف في حيرة وذهول وتساءل في نفسه بأنه يمضي في اتجاه حاد، وأن وعيه بهويته يتغيّر ويواصل التحول وخوفه كيف تكون قناعته بعد أسابيع، وهل سيصبح شخصاً آخر، كما خاف أن ينهار زواجه من سيلين، وكل هذه التساؤلات والتوترات أنهتها خولة حمدي في روايتها بقولها: "تعبر صدره موجة قلق، ثم يتبدّد الزبد، أو ليست تلك سنّة الحياة؟ لا شيء باق على حاله، فليدع القلق لأوانه".[2]

4ـ الحرمان:

يعرف الحرمان بأنه "مصطلح نفساني يعني هذه العملية التي من خلالها تقاوم الذات عناصر الإحباط التي تولدت لديها بسبب فقدان كائن عزيز".[3]

كما يمكن القول بأن حالة المحروم عادةً ما تكون مُدَمَرَةً شخصياً، كما هي فقدان القدرة على تلبية اِلاحتياجات الحياة كالأكل والنوم وعدم التواصل مع الوالدين وغيرها، وهذا ما عاشه بطل الرواية نادر الشاوي، الذي كان محروماً من كل هذه الاحتياجات.

وعبرت الرّواية عن هذا عند إمساك الدكتور عمر بنادر بعد تخلي القرصان وعصابته عنه، فهذه كانت قاعدة عند الإمساك بك أنت بريء من العصابة و العصابة بريئة منك،

---

[1]ـ المصدر السابق، ص59.

[2]ـ المصدر نفسه، ص383.

[3]ـ حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، دار العربية للعلوم، ط1، ت2009، ص 46-47.

ويتبين هنا أن نادر محروم من الأكل والعيش، فاضطرّ إلى السرقة لكي يأكل: "أعيش على الفضلات وبقايا المطاعم منذ أكثر من أسبوعين.. أنام في العراء دون لحاف أو فراش، أشرب من المياه الآسنة ومن النافورات العمومية..كيف يمكنني أن أعيش..".[1]

وتجسد الحرمان أيضا في الرّواية بعدم اتصال نادر الشاوي بأمه منذ وصوله إلى فرنسا بسبب عدم حمله معه جهاز اتصال، ولم يكن معه فلس حتى يتصل بها من الهواتف العمومية، وعند إيجاده لمأوى، أول ما وقعت عينه على هاتف عمر الذي أَوَاهُ، اتصل بأمه ليزيل الشوق والحرمان ويتبين هذا في الرّواية وهو يحاورها:

" نادر؟ هذا أنت يا بني؟

هذا أنا يا أمي..

لماذا تركتني في حيرة كل هذا الوقت؟ لماذا لم تتصل قبل الآن؟

ظننتك.. ظننتك..".[2]

كما ذكرت خولة حمدي الحرمان أيضا بفقدان نادر الشاوي لوالده بعد قتله من طرف القوّة العسكرية ظناً منهم أنه يخبئ الإرهابيين كما وصف نادر شجاعة أبيه بوقوفه أمام وجه القوة، وقال بأنه كان مِقداما منذ شبابه، فهو خاض الحروب ورأى الكثير في حياته.

ووضحت خولة حمدي حرمان نادر من أبيه بقولها: "ألمح من زاويتي الضيّقة جسد أبي مسجّى غير بعيد عني، وبركة دماء تتسّع تحته، وابل رصاص أصابه في صدره ورأسه وأورده قتيلا على الفور..".[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص89.

[2]- المصدر نفسه، ص93.

[3]- المصدر نفسه، ص39.

5ـ التمرّد:

التمرد هو العصيان، وهو رفض تطبيق الأوامر، وعدم تنفيذها، أو الخروج عن أي نشاط قانوني مثل: السرقة وتعاطي المخدرات وغيرها.

نرى أن الرواية التي كتبتها خولة حمدي تتمحور على الهجرة غير الشرعية والتي بدورها تعد نشاطاً غير قانوني، أي تمرد على السلطة وعلى قوانين البلاد، وتجسد ذلك في شخصية نادر الشاوي بطل الرّواية الذي هاجر عبر قوارب الموت وتمرّد على القوانين: " لم أكن أمتلك جواز سفر، ولم أكن لأحتاجه في سفرتي هذه، يسمّوننا الحراقة... حتى لا يتم ترحيلنا وإعادتنا إلى نقطة البداية، إذا ما تّم القبض علينا على الضفة الأخرى".[1]

كما أوضحت الروائية نتائج ذلك التمرد، إذْ يؤدي بصاحبه إلى الهلاك كالتشرد وعدم حصوله على لقمة العيش، ونادر الشاوي لو لم يتمرد على القانون والسلطة لكان مرتاح البال متوفرا على لقمة العيش، ينام على فراش دافئ.

كما بينت الروائية أن نادر الشاوي قد تمرد أيضا على القانون وهذا عند تعاطيه للحبوب المخدرة أعطاه له جابر البناء، وقد أدمنها، وأوضحت أيضا أنه كان سيتورطّ في بيعها مع بيدرو الإسباني، فنادر في تلك اللحظة لم يعد أمامه إلا طريق الانحراف بعدما تم رفضه من العمل في عدة محلات، ولم يكن يَصْعُبُ عليه في تلك الحالة أن يستسلم للأمر، وأن يصبح أحد موزّعي المخدرات وأحد عملاء بيدرو،: " في الغد، سيسلّمني كمّيتي الأولى، شطارتي في تسويقها ستحدّد العمولة والمكافآت، كان يجب أن يجرّبني قبل أن يضبط الأرقام ويحدّد أسس الحسابات بيننا".[2]

وقبل أن يذهب الحال بنادر إلى بيع المخدرات تورط في السرقة عند سرقته في المترو لحقيبة سيّدة عجوز، ولكن سرعان ما تم الإمساك به:" كان الدكتور عمر...وقع على ركبتيه

[1]ـ المصدر السابق، ص28.

[2]ـ المصدر نفسه، ص53.

فوقي مكبلا معصميّ وراء ظهري.. كنت مشلول الحركة لا محال.. أفلتُّ الحقيبة المسروقة طواعيّة وقد أدركت هزيمتي".[1]

وتجسد التمرد أيضا من خلال فرقة حراس العقيدة التي يقودها شيخ المختار وأبو أحمد وهو اسم حركي أطلقه مختار على عصابته التي يريد لها احتلال فرنسا، وإعلان الحرب فيها، وهذا عند وقوفهم بنسق عسكري أمام الساحة الواقعة قبالة مبنى الكتدرائيّة وهم يهتفون بتكبيرات، ويظهر ذلك في قول الضابط للمختار: " سيد المختار، أظنك تعلم أن هذا إخلال بالأمن العام واستغلال للفضاء العمومي من أجل نشاط غير مرخص له..".[2]

6ـ الحزن:

يعرف الحُزن بأنه ألم نفسي ومشاعر وخواطر سلبية خلفها حدث ما، ويكون حدثاً غير سعيد كما يُوصَفُ بِالشعور بالبؤس والعجز، كما هو يَرِدُ عن رَدَةِ فعل لأمور سلبية تسببها صدمات أو مشاعر أو فراق، حيث يصاحب الحزن أحيانا البكاء، وقد عرّف حملي مرزوق الحزن وقال: " فأحزن الحزن هو الحزن الداخلي بلا شك وأبأس البؤس المقنع أيا كان مصدره وباعثه مادام نابعا من الأعماق ودخائل النفوس".[3]

بيّنت الروائية خولة حمدي لنا أن نادر الشاوي كان ينتابه الألم والحزن متحسرا عن نفسه وأنه كان عديم الفائدة ووجوده ليس له معنى، وعالة حتى على عصابة الفرسان المشردّة، وأنه لم يفعل أي شيء يجعله يفتخر ويرفع رأسه به يوما، وجاء هذا في الرّواية بقوله وهو يحاور نفسه: " أطرقت في ألم.. أنا كذلك كنت عالة على والدتي وفي وطني، وعاطلا عن العمل وعديم الفائدة...كنت وصمة عار إضافيّة على وجه كل عربي ومسلم شريف، ولا شيء غير ذلك".[4]

---

[1]ـ المصدر السابق، ص87.

[2]ـ المصدر نفسه ص218.

[3]ـ حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، ت2004، ص180.

[4]ـ المرجع نفسه، ص88ـ89.

ويواصل حكايته عن الحزن والألم فيقول: " انفجرت باكيًا فجأة، وقد اجتمع كلّ احتقاري لنفسي قطرات اختنقت في غددي الدّمعيّة ثم أفرجت عن نفسها من دون استئذان، انتابتني رجفة هزت جسدي الهزيل كله..انهرت على الرّصيف وقد ازداد نحيبي".[1]

فسبب بكاء نادر الشاوي هو احتقار نفسه وظلمها حيث بَكَى بدون شعور وإحساس، باكيًا عن نفسه وعلى تشرده وعلى الحالة التي وصل إليها، لأنه لم يكن متوقعاً ما سيحصل له، حيث كان ينتظر الموت على قارعة الطريق، وكل هذا سببه الجوع والتشرد الذي يعيش فيه.

كما تجلى الحزن والألم في الرّواية عند حكاية وسرد نادر لليليان حكايته الأليمة الممزوجة بين الحزن والألم والتشرد الذي عانى منه، فاستعطف ليليان لما عاشه نادر من مأساة، وهو يرى بأنها تخفي دمعة سائلة عن طرف عينيها مستعطفة معه على ما جرى له من وجع، ومعبرًا لها على ما خلفته الرصاصة من آثار وألم، وجاء هذا في الرّواية في حوار نادر وليليان: "وأنا أمضي في سرد حكايتي..الغرق، الرصّاصة، التشرد، الألم، الإدمان..ليست سيرة ذاتيّة اعتياديّة...حافظت على الصّمت.. تحاول طمس العلامات تأثرها، لكنّ صوتها بدا مبحوحا حزينا وهي تسأل بارتباك:

الرّصاصة.. هل تشعر بها الآن؟".[2]

كما تمحور الحزن في الرّواية عند بكاء نادر وزوجته ديانا عند معرفتها بمرضه، حيث كانا يتألمان في الليل وفي وقت واحد وعلامات الحزن والألم والفراق بادية عليهما، كما كان متحسرًا على ابنه خليل لأنه سيكبر بعيدا عن أبيه وبعيدا عن لغة أبيه، وكانت حسرته أيضا بأنه بعد وفاته ستتزوج زوجته ويعيش خليل مع أناس يحبونه، ويظهر هذا في الرواية:

---

[1]- المصدر السابق، ص89.

[2]- المصدر نفسه، ص172.

".. كأنّ دموعي ودموعه رهن تلك الكلمة، ننفجر باكيين في وقت واحد، كلّ منّا يشهق وحيدا على الضّفة المقابلة من السّرير، يفصلنا تعقيد سقطنا فيه سهوا أو عمدا..".[1]

وكانت ردة فعل زوجته وهي غاضبة وحزينة بقوله لها ستتزوجين من جديد بعد وفاتي، وجاءه الرد وهي مزمجرة: "هل اتخذتّ قرارا عنّي؟ رمّلتني وزوّجتني... ألهث، يعلو صدري ويهبط في اضطراب، ألقى بكلمات حارقة تلهب قلبي في طريقها، وسيول الدّمع لا تتوقف... وما اختليت بنفسي حتّى وضعت رأسي على السّرير وانخرطت في بكاء مرير، بكيت أباك وبكيت نفسي، وبكيتك".[2]

وليس هذا ما وضحته الروائية في روايتها فقط، فهي بعد حكايتها للألم النفسي والحزن في شخصية نادر، وضحت كذلك الألم الجسدي الذي يعني الوجع، كما أنه بدوره يولد الألم النفسي وهذا ما حصل مع نادر، كما يمكننا القول أن الروائية هي من تتألم وتتحسر على شباب في عمر الزهور، تزداد ضحاياهم يوما بعد يوم، غرقوا وابتلعتهم مياه البحر.

وركزت الرّوائية على الحزن والألم، ويمكن أن يكون ذلك راجعاً إلى ذكريات وحكايات أخرى تتعلق بها، وجاء الألم الجسدي في الرّواية بقول نادر الشاوي في رسائله وهو في قارب الموت عند انتقاله من المركب الذي كان فيه إلى مركب آخر: "تمكّن الألم من ساقيّ المضمومتين تحتي، تلكزني مرافق جيراني السّمراء الخشنة كلّ حين...أكاد أفقد الإحساس بقدميّ، ترتجف شفتاي الجافتان، فأبتلع لعابي وأغمض عينيّ".[3]

وجاء الحديث عن الألم الجسدي في الرّواية عندما كان نادر الشاوي رفقة الشيخ المختار الذي يعطيه الدواء، بغية منه أن يبقيه على اتصال دائمٍ معه، فهذا الدواء كان يريحه من ألم الرصاصة: " تتمايل ظلالات الموت أمام عينيّ، ويشقّ الألم رأسي نصفين، كأنّما

---

[1]- المصدر السابق، ص343.

[2]- المصدر نفسه، ص344.

[3]- المصدر نفسه، ص30.

انقطع عنّي تيّار طاقة ما!"[1]، وقالت أيضا على لسانه: "ألم مميت لا ينبلج عليه الصّبح إلا وقد أوهن جسدي وأذهب عقلي".[2]

ونرى بأن نادر تحدى الرصّاصة والمختار معاً، لكن ذلك الألم الجسدي، ولد ألماً نفسيّاً فيه.

وهكذا تعددت صور الحزن والألم، في رواية خولة حمدي، عاناها نادر الشاوي، وما تلك الصور إلا قليل من كثير مما عاشه، والذي أجبره على الهجرة غير القانونية التي سلكها عبر قوارب الموت وهي تعد من أخطر الطرق التي يعتمد استخدامها.

وتجلت صور الحزن والألم أيضا في شخصية نادر، الذي هاجر سعياً لحياة أفضل بعيداً عن الفقر والبطالة والظروف المعيشة والاجتماعية الصعبة، ولكنه في معاناته امتلأت نفسه حزناً وألماً ومأساة، تحولت لديه إلى الإحساس بالخراب والضياع والتشرد عوضا عن الإحساس الذي ولده الحلم الذي كان قد سلك طريقه من أجله.

فنادر في الرواية، عاش ألمًا وحزناً وفقراً مكبوتا وهذا نتيجة الحزن وضياع حلمه وظروفه المعيشية الصعبة التي عاشها، سببت له حزنا عميقا لا ينطفئ يتحول إلى حالة من الاكتئاب .

7ـ العنف:

عرّفه بعض علماء النفس على أنه: "نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة إحباط، ويكون مصحوبا بعلامات التوتر، ويحتوي على نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي".[3]

---

[1]ـ المصدر السابق، ص221.

[2]ـ المصدر نفسه، ص221.

[3]ـ جليل وديع شكور، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، ط1، ت1997، ص32.

كما يمكننا القول أنه سلوك عدواني يتمثل في الكراهية والحقد، وهو مؤذٍ سواء كان عنفاً بدنياً أو عنفا لفظياً، كما أنه يكون مصحوباً بعبارات تهديدية واستخدام أدوات حادة.

والحديث عن العنف في هذه الرواية لم يكن شائعا فيها، ولم يتصل بشخصية نادر كثيرا، فقد عاش متشردا ، ولكن لم يشهد الكثير من العنف.

وتمثل العنف في الرواية عندما كان نادر الشاوي في قوارب الموت متجها إلى فرنسا رأى مشهدًا لم يكن في الحسبان وهو مشاجرة بين ربان ورجلين، حيث تجلىّ هذا في الرّواية وهو يروي لابنه في رسائله: " هاجم رجلان الرّبان في سخط، فتعاون على كلّ واحد منهما اثنان من مشرفي الرّحلة، أمسك كلّ بذراع وطوّحوا بهما في عرض البحر، سمعنا صرخة واحدة.."[1].

وأوضحت خولة حمدي في روايتها أن نادر الشاوي تعرض إلى العنف اللفظي، من طرف مشرف العمل الذي كان يعمل تحت إشرافه في عمل جد صعب وشاق، وهذا في قولها: " حيث كان المشرف السمين يظهر من خلفي على حين غفلة مثل مارد القمقم، ويصرخ ويعنف:

تحرك يا حمار، تحرك يا بغل".[2]

فنادر الشاوي بعد هذا السب والشتم تحكم في نفسه وظل صامتًا، ويكبت في قلبه وهذا مخافة منه أن يتم طرده من العمل الذي قد حصل عليه بعد عناء ومشقة، ويظهر ذلك في قول نادر عن نفسه: " أتمالك نفسي، وأجبر أطرافي على لملمة خلاياها العصابية، أتحامل لأبدو كتلة واحدة".[3]

وبينت خولة حمدي في روايتها العنف الإرهابي الذي تعرضت له فرنسا في الأحداث الدامية لسنة 2015، والتي غيرت أموراً كثيرة عن تلك التي وصفها نادر لخليل في رسائله:

---

[1]- المصدر السابق، ص29.

[2]- المصدر نفسه، ص140.

[3]- المصدر نفسه، ص140.

"ورغم شدّ الدّولة لقبضتها الأمنية وتضييقها الخناق على المسلمين بشكل عام، كأنّما تنفذ توصيات...، فقد استمر العدد في تزايد... والآن يمثّلون ثلث سكّان فرنسا".[1]

8ـ الندم:

هو إحساس الشخص بالذنب بعد ارتكابه لفعل ما أو موضوع ما، كما يمكن القول بأنه حسرة وتأسف على أمر قد مرّ، ويعرّف بشكل أبسط وأوضح بأنه القيام بتصرفات تجعلنا نتمنى أننا لم نفعلها ونشعر بها عند المرور بمواقف الخجل والإحباط والحزن وغيرها.

ويظهر الندم في الرّواية في شخصية نادر الشاوي الذي تحسر بعد مغادرته الجزائر هاربًا من الفقر والبطالة للحصول على لقمة العيش، فعاش نفس الأوضاع التي كان يعيشها هنا في الجزائر بل وعاش أكثر منها، فهو عاش أيضا في فرنسا البطالة والفقر، ورأى وجوهاً مشتتة ضائعة كئيبة، ووجوه الجوع التي فرّ منها من عنّابة حتى لا يلمحها مجدّدا ويظهر هذا في الرّواية عند قوله: "اكتشفت بؤسا مدقعا لم أكن أتوقع وجوده على الضفة الأخرى من المتوسط... انحسرت الأحلام..".[2]

وقال أيضا: "لماذا أتذكر شباب حيّي بهذا الإلحاح؟ أليس الشبه واضحا؟ وهل يتسكع في وضح نهار عمل طبيعي غير العاطلين؟ أرّقني أن أواجه الفاقة وأنا أقصد هذه البلاد طالبا الرزق".[3]

كما يمكن أن نوضح تحسره وندمه أكثر عند قوله: "في خيالي...كانت أوروبا هي الجنّة...الجنّة الآن، فهل كانت؟".[4]

---

[1]ـ المصدر السابق، ص280.

[2]ـ المصدر نفسه، ص48.

[3]ـ المصدر نفسه ص48.

[4]ـ المصدر نفسه، ص47ـ48.

وبّينت خولة حمدي في روايتها أن شخصية نادر الشاوي البطل قد شعرت بالذنب بعدم لجوئها إلى المسجد، فلو أنه لجأ إليه لكان وجد فيه يد المعونة، مثلما وجدها عند الدكتور عمر الذي جلبه إليه، كما ظهر تحسره وندمه واضحاً عندما جلس على الأرض في خشوعٍ وهو متحسر بأنه لم يلجأ إلى الله منذ البداية، وهو الذي أنقذه ورحمه من الموت في البحر،

وجاء هذا في قوله: ".. أنت الأرحم بعبادك عن الأم الحانية..لماذا سهوت عن دعائك؟ مع ارتفاع صوت الأذان في باحة المسجد، ارتفعت شهقاتي الباكية .. لم أكن قد صليت صلاة واحدة منذ مغادرتي أرض الجزائر".[1]

9ـ الرعب:

ذكرت خولة حمدي في روايتها الرعب، وهذا من خلال تجسدها حالة من حالات النفسية التي عاشها بطل الرواية نادر الشاوي، والرعب ناتج عن المخاوف التي تَمُرُ بها الشخصية واستلب منها الآمان.

وذكرت حالة الرعب في الرّواية عندما كان نادر في القارب اشتدت عليهم الصواعق التي كانت تضرب البحر، وارتفاع الأمواج التي أدت إلى ارتفاع القارب إلى عشرات الأمتار وانقلاب المركب، وورد هذا في الرواية بقوله : "صرخت، بكلّ الرعب المتراكم طبقات داخلي مذ كنت طفلا نخفيه الظلال على الجدار، صرخت، وأنا أرى الرّكاب يتساقطون من المركب مثل دُماي القديمة..ليبتلعهم الموج في غمضة عين".[2]

كما ظهرت حالة الرعب عند نادر الشاوي أيضا في أحد الليالي التي كان يسمع فيها غناء الرجل العجوز حتى سمع صوت فرملة سيارة مندفعة، وما إن فتح عينيه تفاجأ بوجود جسد الرجل العجوز تحت عجلات السيارة وكانت هذه الليلة هي ليلته الأولى لبيع المخدرات ويظهر هذا في الرّواية بقوله: ".. وعجلاتها الأمامية تدور على محورها في ضراوة، منتهكة

[1]ـ المصدر السابق، ص90.

[2]ـ المصدر نفسه، ص32.

بلا رحمة حرمة الجسد الذي داسته للتوّ.. ندّت عنّي صرخة فزع وجريت باتجاه موقع الحادث وقد استفقت عنوة من ذهول أصابني".[1]

وتمثل الرعب أيضا في شخصية ديانا زوجة نادر وهذا بعد دخول بطل الرّواية نادر الشاوي إلى غرفة العمليات الذي كان متخوفا منها، لأن احتمالية نجاحها كانت ضئيلة، ونتائج هذه العملية قد تؤدي بفقدان البصر أو الشلل أو نزيف دماغي، ولكن لا خيار أمامه عليه بالمجازفة لإخراج هذه الرصاصة من دماغه، أو ستؤدي به إلى إنهاء حياته في أي لحظة، حيث ظهرت حالة الرعب هنا عندما استمرت العملية لعدة ساعات فقالت ديانا وهي تحاور نفسها بجزع: "رأيتني أحمل لقب الأرملة وأنا بعد لم أعرف كيف أكون زوجة!".[2]

وهنا تبين أن ديانا كانت في حالة رعب خوفا من أن تصبح أرملة بعد زواج قصير، حيث أن تفكيرها كان أنانيا، ولكن بحسب قولها في الرواية هو تفكير منطقي، وكل ما فكرت به هو كيف ستكون حياتها من بعد وفاته، فهي قبل أن تتزوج نادر كانت منغلقة على حياتها، وتندب حظها على حرمانها من الحركة فهي كانت معاقة ورغم هذا فقد كانت مؤمنة، ورأينا رعبها بأن تعود إلى هذه الحالة بعد وفاته.

وفي نظرة عامة للأحوال النفسية التي جلّتها الرّواية وخاصة تلك التي بدت من الشخصية البطل نادر الشاوي، نجد أنّ حالات الحزن والألم والحرمان طفت أكثر من حالات السعادة، والروائية لم تختم روايتها بنهاية سعيدة بل أبقتها في مدارات تلفها تساؤلات عديدة لقارئها ونهايتها كانت مفتوحة وليست مفهومة وغير واضحة، كما يمكن أن يدل توظيفها لحالات الحزن والألم عن رسالة تريد إيصالها للشباب الذي يحلم بالهجرة إلى أوروبا وتوضح لهم أن الحلم مجرد واقع أليم وهذا ما جسدته في شخصية نادر الذي عاش حياته بعد الهجرة

[1]- المصدر السابق، ص54.

[2]- المصدر نفسه، ص314.

في ألم وحزن وفقر وتشرد ولم يحظ من السعادة إلا القليل، كما يمكننا القول أن الروائية هي التي تتألم وجسدت ألمها في شخصية البطل.

خـــاتمـــة

نحمده سبحانه على جزيل فضله، ونشكره على عظيم عطائه أن منّا علينا بإتمام هذا البحث المتواضع والذي هو تحت عنوان: "الأبعاد الاجتماعية والنفسية في رواية أن تبقى"، حيث بذلنا فيه جهدنا لإبراز الأبعاد الإجتماعية والنفسية في الرّواية، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى بعض النتائج وهي كالآتي:

ـ تعد الرّواية من أهم أدوات المعرفة، وذلك لتناولها قضايا اجتماعية ودينية وتاريخية، وبسبب هذا التنوع في تناول القضايا، تعد فناً مليئاً بالمعلومات التي تثري رصيد القارئ المعرفي.

ـ ركزّت خولة حمدي في روايتها على القضايا الاجتماعية التي يعانيها المجتمع، وأضفت على تناول تلك القضايا منظوراً نفسيّاً تجلّى في الكشف عن البواعث النفسية والأحوال التي صاحبتها في صراع الشخصيات مع أحداث مجتمعهم.

ـ أشدّ القضايا التي وقفت عليها الروائية، الهجرة غير الشرعية، والتي بعثت عليها أحوال اجتماعية وصاحبتها آثار نفسية، لأن الهجرة إلى الغرب صاحبه حلم الانتقال إلى جنة الأرض، ولكن ثمنها كان الانسلاب وفقدان الهوية والتشرد وضياع الحلم الأوروبي.

وفي الأخير لا يسعنا القول إلا أن نؤكد أن ما قدمناه ما هو إلا لمسة حَاوَلْنَا من خلالها الإلمام بالبعد الاجتماعي والنفسي في هذه الرّواية، ونرجو أننا قد وفقنا ولو بالشيء القليل، فما كان من توفيقٍ فمن الله، وما كان من خطأ فمنّا ومن الشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد المختار وعلى آله وصحبه الأخيار وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين العزيز الغفار.

قائمة المصادر

والمراجع

ـ القرآن الكريم

1ـ المصادر:

ـ خولة حمدي، رواية أن تبقى، ط4، ت2016.

2ـ المراجع:

ـ إبراهيم الشافعين، خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية المتحدة لتسويق، ط2، القاهرة، ت.

ـ إبراهيم علي السلطاني، التحليل النفسي في نص الأدبي، دار الجليس الزمان، ط1، ت2010.

ـ أبو الفتح ابن الجني، الخصائص، ج1، عالم الكتب، د ط، ت2006.

ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس.

ـ أحمد منور، أزمة الهوية في رواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية، دار الساحر، د ط، د ت.

ـ أشرف علي دعدور، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة.

ـ الدكتور خالد حمد المهند، المخدرات وأثرها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، قطر، د ط، ت2013.

ـ السعيد الورقي، إتجاهات الرّواية العربية، دار المعرفة الجامعية، د ط، ت1430-2009.

ـ أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه ـ أنواعه ـ مذاهبه ـ المؤسسة الحديث الكتابة، د ط، طرابلس ـ لبنان، د ت.

ـ بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، ط1، ت2007.

ـ جليل وديع شكور، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، ط1، ت1997.

ـ حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، دار العربية للعلوم، ط1، ت2009.

ـ حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، ت2004.

ـ خالد الوزني ـ أحمد الرفاعي، مبادئ الاقتصاد الكلي بين النظرية والتطبيق، دار وائل لنشر، عمان، الأردن، ت2006.

ـ سهام محمود العراقي، الاتجاه الديني المعاصر لدى الشباب، مكتبة المعارف الحديثة، حمادة زغلول، مصر 1984.

ـ سيد القطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط 6، ت1990.

ـ شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجماعية الجزائر، ت1985.

ـ شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، دار نشر مؤسسة الوراق، ط1، عمان، ت2014.

ـ صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، د ط، بسكرة، د ت.

ـ عبد القادر عطية، الحديث في الاقتصاد القياسي بين النظرية ولتطبيق، دار الجامعية، الإسكندرية، ت2003.

ـ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار عالم المعرفة، د ط، الكويت، ت1923-1990.

ـ عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجماعة، د ط، مصر، ت2008.

ـ فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، دار مؤسسة العربية، ط1، تونس، ت1988.

ـ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، دار البيضاء، ط2، بيروت، ت2002.

ـ ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د ط، ت2013.

ـ مصطفى الغلايين، جامع الدروس العربية، د ط، د ت.

ـ موسى ميعرشي، الجدل الديني والسياسي في اليهودية، ط1، ت2010.

ـ وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، دار الفكر، ط2، دمشق، ت2009.

ـ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور لنشر والتوزيع، ط1، ت2007.

3ـ المجلات:

ـ إبراهيم زكريا، معنى الاغتراب عند الإنسان العربي المعاصر، المجلة العربية، العدد194، الكويت.

ـ الاتجاهات نحو العادات وتقاليد، مجلة كلية التربية، العدد170، ج3، أكتوبر2017، الأردن.

ـ البهاص، العفو كمتغير وسيط بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والشعور بالسعادة، مجلة الإرشاد النفسي، ت2009.

4ـ الرسائل الجامعية:

ـ ديقيشان أسماء، الدين ومظاهر التدين في الأسرة الجزائرية، شهادة ماجستير، إشراف بوشيخاوي أسمهان، علم اجتماع، جامعة وهران، الجزائر.

ـ نبيل يعقوب، قيم الانتماء والولاء المتضمنة في منهاج التربية الوطنية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.

ـ نشوان حميد أحمد الفائق، مقاصد الشريعة وأثرها في القضاء على التمييز العنصري، رسالة دكتوراه كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان، ت2014.

5ـ المحاضرات:

ـ الشيخ عبد الله بن بية، الإرهاب التشخيص والحلول، الفقه الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

ـ نادية شرادي، محاضرة مفهوم الصدمة النفسية، مقياس علم النفس الصدمي، القاهرة، ت2011.

6ـ المواقع:

http://ireadhub.com/%D8%AE%D9%88%D9%84%D8%A8%AD%D9%85%D8%AF%D9%8A

http/www.djelfa.info/vb/showthread.php ?t : 573478

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**ب**
مدخل: الرّواية التونسية	
مفهوم الرّواية	07
نشأة الرّواية	09
الرّواية على النحو العام	09
الرّواية التونسية على النحو الخاص	10
رواية أن تبقى	10
تعريف عام بالرّواية	10
التعريف بالروائية (د. خولة حمدي)	11
أعمالها الروائية	12
ملخص الرّواية	12
القضايا التي عالجتها الرّواية	13
الفصل الأول: الأبعاد الاجتماعية في الرّواية	
مفهوم المنهج الاجتماعي	18
اللغة	19
العادات والتقاليد	21
الدين	25
الهوية	30
البطالة	33
الفصل الثاني: الأبعاد النفسية في الرّواية	
مفهوم المنهج النفسي	40
السعادة	42
الصدمة	44
التوتر	47

الحرمان	49
التمرد	51
الحزن	52
العنف	55
الندم	57
الرعب	58
خاتمة	62
قائمة المصادر والمراجع	64
فهرس الموضوعات	68